منظمة المرأة العربية
ARAB WOMEN ORGANIZATION

مركز دراسات الوحدة العربية
Centre for Arab Unity Studies

المرأة والفن والإعلام

من التنميط إلى التغيير

نيفين مسعد
(تحرير وتنسيق)

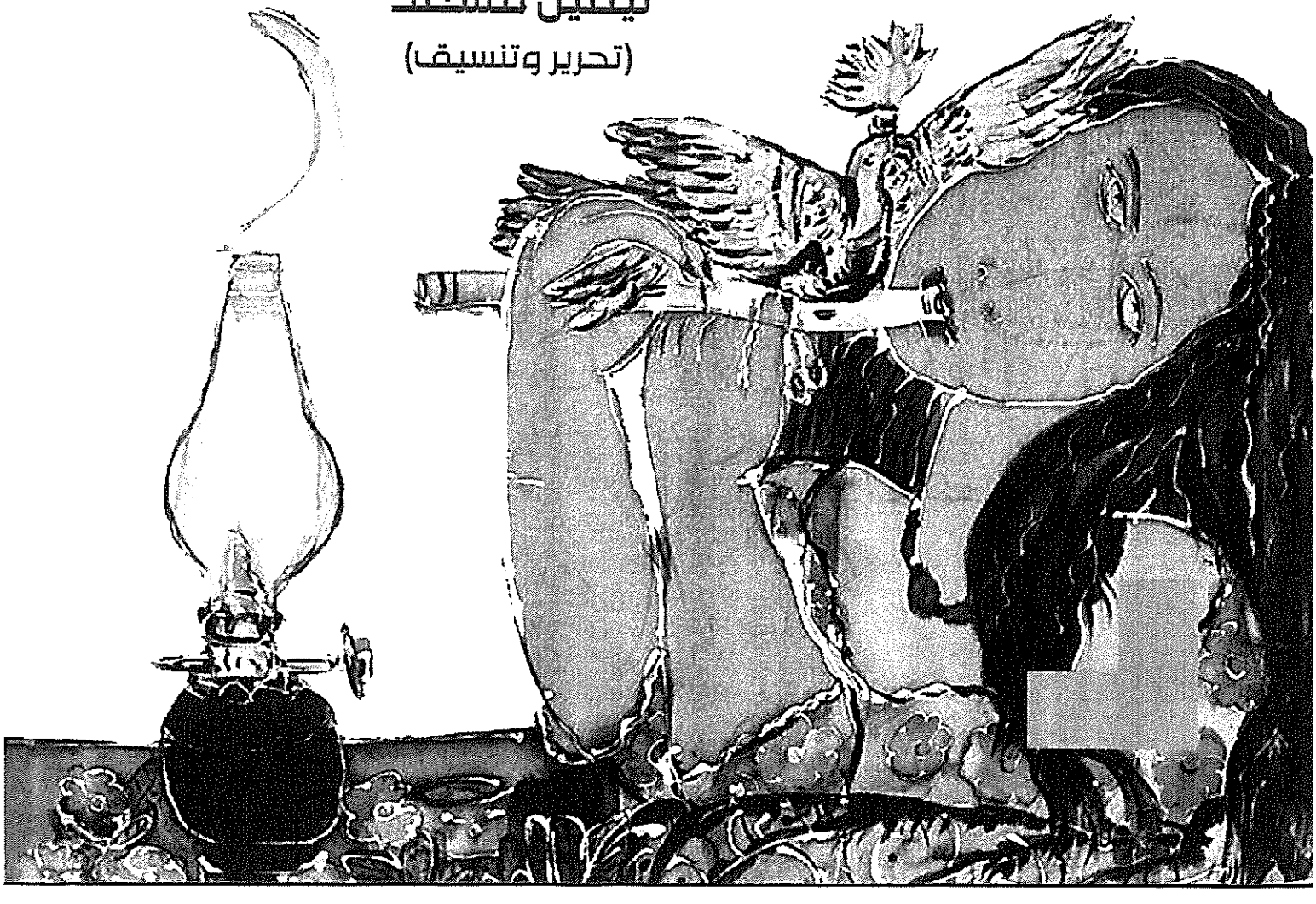

مركز دراسات الوحدة العربية
Centre for Arab Unity Studies

منظمة المرأة العربية
ARAB WOMEN ORGANIZATION

المرأة
والفن والإعلام
من التنميط إلى التغيير

زينب توجاني
سعيد المصري
سيد محمود
عايدة الجوهري
عزة القصابي

فاديا كيوان
فاطمة غندور
منى قاسم
نادية بدر الدين أبو غازي
نهاد أبو القمصان

نيفين مسعد
هالة جلال
هدى الصدّة
وفاء السعيد
ياسر عبد العزيز

تحرير وتنسيق
نيفين مسعد

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

المرأة والفن والإعلام: من التنميط إلى التغيير/ تحرير وتنسيق نيفين مسعد

384 ص.

يشتمل على فهرس.

ISBN 978-9953-82-960-9

في رأس صفحة العنوان: منظمة المرأة العربية.

1. الصورة النمطية للمرأة. 2. المرأة العربية. 3. التغيير الاجتماعي. 4. الحركة النسوية.

5. المرأة والمقاومة. أ. مسعد، نيفين (محررة ومنسقة)

305.48

العنوان بالإنكليزية

Women in Arts and Media: From Stereotyping to Change

Edited by Neveen Mousaad

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة

عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية

مركز دراسات الوحدة العربية

Email: info@caus.org.lb

http://www.caus.org.lb

تصميم الغلاف: يارا حيدر

صورة الغلاف (بتصرّف): مقطع من لوحة للفنانة التشكيلية شلبية إبراهيم

© حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، تشرين الثاني/نوفمبر 2021

المحتويات

تقديم ..... فادية كيوان 11

الفصل التمهيدي: الفن والتغيير ..... نيفين مسعد 13

أولًا: الفن والتغيير: مدارس واتجاهات 15

ثانيًا: الصورة النمطية للمرأة وعملية التغيير 20

الفصل الأول: الصور النمطية للمرأة في التراث الشعبي العربي ..... سعيد المصري 37

أولًا: مفهوم الصور النمطيَّة والتعصُّب الاجتماعي 38

ثانيًا: جمال المرأة وقُبْحها في الحكايات الشعبية 41

ثالثًا: جوهر الفجوة النوعيَّة في الموروث الشعبيّ 44

الفصل الثاني: زمرد المملوكية ..... عايدة الجوهري 51

أولًا: الإطار العام 53

1 ـ في أصل «حكاية علي شار وزُمرُّد» وفصلها 53

2 ـ الفرضيـَّة 53

3 ـ في المنهـج 53

ثانيًا: الحكاية 55

1 ـ الحالة الأوَّليَّة 55

2 ـ ما سِرُّ زمرد؟ 58

3 ـ وقوع المَحظور 61

4 ـ خطف زمرد، الإساءة الأولى 63

5 ـ زمرد تواجه ولا تساوم 64

6 ـ العجوز تُنقذ علي شار من الضياع 65
7 ـ علي شار يُلحق بزمرد «إساءة» جديدة 66
8 ـ زمرد تتنكَّر بثوب جندي وتنطلق 67
9 ـ السلطانة زمرد 68
10 ـ زمرد تنتصر على أعدائها بالخداع 70
11 ـ رحلة علي شار 73
12 ـ زمرد تكشف عن هُويَّتها 75
13 ـ الحالة النهائية 75
ثالثًا: المُتضادَّان: زمرد وعلي شار 77
1 ـ زمرد نموذج «الشخصية الإيجابية» 77
2 ـ علي شار نموذج «الشخصية السلبية والمزيَّفة» 84
3 ـ تفوُّق زمرد 86
الفصل الثالث: تحيُّزات الخطاب الذكوري المُستبطَن في الروايات العربية .....وفاء السعيد 89
أولًا: الإطار المنهجي 92
1 ـ منهج الدراسة 92
2 ـ مُحدِّدات الدراسة 93
3 ـ أدب حرية المرأة وقضية التحرُّر الوطني 96
ثانيًا: النماذج المختارة 98
1 ـ حرية المرأة في أدب الخمسينيات في مصر 98
2 ـ امتداد الظاهرة في التسعينيات 106
3 ـ واقع الظاهرة في الألفية الجديدة 109
الفصل الرابع: الأرشيفات النسوية البديلة: المرأة والذاكرة نموذجًا .....هدى الصدّة 119
أولًا: عن التاريخ الشفوي 120
ثانيًا: عن أرشيفات التاريخ الشفويّ النِّسْويّ 122
ثالثًا: عن المرأة والذاكرة 125
1 ـ مجموعة الرائدات 126
2 ـ مجموعة النساء المنخرطات في الشأن العام 130

الفصل الخامس: السِّير النسائية البديلة: ليبيا نموذجًا ..... فاطمة غندور 135
أولًا: الإطار المنهجي 137
1 ـ أهداف البحث 137
2 ـ إشكاليَّة البحث 137
3 ـ منهج البحث 138
4 ـ مصطلحات البحث 138
5 ـ الحدود الزمانيَّة للبحث 139
6 ـ مصادر البحث 140
ثانيًا: الإطار التطبيقي: مدخل تاريخي موجز 141
1 ـ نساء المقاومة والجهاد الليبي 142
2 ـ مفاعيل الريادة للمرأة الليبية 143
3 ـ دعامة الحركة النِّسْويَّة: المهاجرات 149
4 ـ النضال السياسي: بواكير وإرهاصات 152
5 ـ الحراك الثقافي النسوي 156
الفصل السادس: قراءة في إبداع رضوى عاشور:
مقاطع من سيرة المرأة وسيرة الوطن ..... نادية بدر الدين أبو غازي 163
أولًا: خصوصية تناول السيرة الذاتية عند رضوى عاشور 164
ثانيًا: رحلة في سيرة الذات والوطن 169
1 ـ رضوى الأستاذة ـ النموذج والقدوة 169
2 ـ رضوى الكاتبة والمبدعة 173
3 ـ رضوى عاشور الفاعلة السياسية والمُقاوِمة 177
4 ـ رضوى الإنسانة 185
ثالثًا: قضايا المرأة في إبداع رضوى عاشور 187
الفصل السابع: الصالونات الثقافية التي قامت النساء عليها:
صالون ميّ زيادة نموذجًا ..... سيد محمود 201
أولًا: الحركة النسائيَّة في مصر وخطاب النهضة 202
1 - النساء قادمات 205
2 - التحدِّي والمواجهة 208

ثانيًا: الصالونات الثقافية..... 209
1 ـ صالون نازلي فاضل 209
2 ـ صالونات ميِّ زيادة 212
الفصل الثامن: صورة المرأة في الأغاني العربية الحديثة .....منى قاسم 231
أولًا: منهجية البحث وعينته..... 238
ثانيًا: صعوبات البحث 240
ثالثًا: صورة المرأة في الأغاني العربية الحديثة الأكثر رواجًا 242
رابعًا: صورة المرأة في الأغاني الداعمة لها 263
الفصل التاسع: صور النساء على الشاشة: الصور النمطية للمرأة في الدراما .....هالة جلال 267
أولًا: أهمية الدراما وخطورة التنميط في الدراما دون غيرها 268
1 ـ شكل البطلة وملامحها..... 271
2 ـ صفات البطلة..... 271
3 ـ قصص النساء على الشاشة 273
4 ـ أفلام حاولت تقديم قضايا النساء إلا أنها انحازت للرواية الذكورية 276
ثانيًا: في مسألة الإنتاج 278
1 ـ المجتمع المدني وإسهامُه 278
2 ـ على صعيد الإنتاج التلفزيوني 279
ثالثًا: إطلالة عربية..... 279
1 ـ السينما التونسية 279
2 ـ السينما اللبنانية 279
3 ـ السينما الفلسطينية 279
رابعًا: السينمائيات الشابَّات 280
خامسًا: في شأن الرقابة..... 280
1 ـ دور الرقابة الرسمية 280
2 ـ الرقابة الذاتية 280
3 ـ الصَّوابيَّة 281
الفصل العاشر: صورة المرأة في الإعلانات العربية ..... ياسر عبد العزيز 283
أولًا: الأدبيَّات الخاصَّة بصورة المرأة في الإعلانات 285

1 ـ الدراسات التي تناولت صورة المرأة في إعلانات الصحف والمجلات .. 286
2 ـ الدراسات التي تناولت صورة المرأة في إعلانات القنوات الفضائية العربية .. 289
ثانيًا: من الدراسات إلى التفاعلات 296
ثالثًا: خلاصات واستنتاجات 298
الفصل الحادي عشر: توظيف المنصات الإعلامية الجديدة لمحاربة الصورة النمطية والعنف ضد النساء: تونس نموذجًا ..... زينب توجاني 305
أولًا: صورتان للمرأة تتصارعان في الإعلام والفضاء العامّ 306
ثانيًا: وسائط حديثة للتعبير والتعبئة والتغيير الاجتماعي..... 311
ثالثًا: محاولات التغيير وتحدياتها 314
1 ـ المفارقة التونسية المؤلمة 315
2 ـ التونسيات يقاتلن في الحياة وبعد موْتهنّ 317
رابعًا: تزايد تأثير الوسائط الجديدة في زمن كورونا والحجر الصحّيّ التام..... 318
1 ـ دور المثقفين والمجتمع المدني والحركة النسوية 320
2 ـ دور الجامعي 322
الفصل الثاني عشر: المرأة المصرية على أجنحة الإنترنت الشخصيات المؤثرة ومواقع التواصل الاجتماعي ودورها في تغيير الصورة النمطية للمرأة ..نهاد أبو القمصان 327
أولًا: المنصّات الاجتماعية وحركة التغيير 328
ثانيًا: دور المؤثرين في تشكيل المزاج العام 330
ثالثًا: الحركة النسائية بين الواقع الفعلي والواقع الافتراضي 331
رابعًا: قضية تمكين المرأة على مواقع التواصل الاجتماعي 334
خامسًا: المنظمات النسائيّة وموقعها من مواقع التواصُل الاجتماعي 336
سادسًا: التحديات..... 337
الفصل الثالث عشر: صورة المرأة العُمانية في الإبداعين المرئي والمقروء.....عزة القصابي 341
أولًا: الإطار النظري للدراسة 342
1 ـ منهج الدراسة 342
2 ـ إشكالية الدراسة 342
3 ـ تقسيم الدراسة..... 343
ثانيًا: من النظرية إلى التطبيق 343

1 ـ صورة المرأة العُمانيَّة في الأدب المقروء: رواية أصابع مريم نموذجًا..... 343
2 ـ صورة المرأة العمانية في الدراما المرئية 352
فصل الختام ..... نيفين مسعد 361
أولًا: الحضور وتوزيع الجلسات 362
ثانيًا: قضايا النقاش واتجاهاته 364
1 ـ قضية التراث: ما له وما عليه 364
2 ـ قضية السياق التاريخي: الحتمية والاستثناء 365
3 ـ قضية التحيّز: بين المُعلن والمّستَبطَن في النقد الأدبي 367
4 ـ الأعمال الفنية: جدلية الصوابية والرقابة 368
5 ـ العنف ضد المرأة: التهديد وسبل مواجهته 369
ثالثًا: توصيات للمستقبل 370
فهرس 373

الفصل الخامس

السِّير النسائية البديلة: ليبيا نموذجًا

فاطمة غندور (*)

توطئة

كُنَّ عشرات من النساء، تتقدمهنّ سيدة على كرسي متحرّك، لم تفارق صورة مغدورها الشاب واجهةَ قعدتها تلك، سنة ونصف قَضَينَها في ميدان محكمة بنغازي، وأمام المحكمة العليا بطرابلس، تعلقت مطالبهن القضائية الحقوقية بالكشف عن قائمة ضحايا جريمة سجن أبو سليم عام 1996 وهم مئات الرجال، فيهم قُصَّر، قُتلوا غيلة؛ لاحتجاجهم على تركهم عامين من دون محاكمة مع سوء معاملة وانتهاكات، وقد امتنعت السلطة عن تسليم جثامينهم أو إتاحة معلومات تكشف مقابر أولئك الضحايا. وفي تظاهرتهن ليلة الخامس عشر من شباط/ فبراير عام 2011، عَلَت أصواتهن ونادَيْن أهل مدينة بنغازي بالانتفاض والثورة، وقد اعتُقل المحامي والمسؤول الإعلامي لملف الضحايا، وخرج الناس خلفهن. إنها لحظات وثّقتها كاميرات وبُثَّت فيديو مباشرًا على مواقع الإنترنت وقنوات فضائية. هي ليلة تلتها نهارات انطلقت فيها الثورة في أكثر من مدينة ليبية، وبرزت المرأة مُبادرةً وفي أكثر من ميدان، خرجت في المقدمة حقوقيات وطبيبات وإعلاميات وفنانات ومقاتلات، وواصلن التظاهر بميدان الثورة إزاء كل حدث، في مخاض أشهرها الثمانية عام 2011 وما بعدها. خرجت أصواتهن عاليةً بمطالبات الثورة للعالم، لكن أدوارهن التي رُوِّج لها بعد الثورة ستُختزل في مطبخ الثوار- وإعدادهن الوجبات لجبهات القتال.

تُدافع النساء اليوم عن تاريخهن ويناضلن لأجل الإقرار والاعتراف بأدوارهن في السِّلْم والحرب، وبإسماع الصوت احتجاجًا، وإطلاق بيانات وحملات بالمطالبات في الميادين

(*) أستاذة في كلية الفنون والإعلام، جامعة طرابلس.

وعبر وسائل الإعلام بتعدُّد وسائطها. وتتضافر جهود منظمات دولية لتُقدم التقارير عن أوضاعهن في كل المجالات، وفي ضوئها تخرج اللوائح والعهود والمواثيق. تنخرط ناشطات ببلدانهن مُستقلاًّت أو بمنظمات مدنية ينتهجن الرصد والدراسة والبحث عن تحسين أوضاعهن الحقوقية المدنية، وقد حقَّقن بالفعل تقدمًا ملموسًا. والمرأة الليبية، على الرغم من العوائق الأمنية ومع انتشار السلاح، فإنها راحت تناضل في عدة جبهات، وتحقق قفزة سياسية غابت عنها نصفَ قرن مترشحةً لمقاعد البرلمان في انتخابات 2012 و2014 ولجنة الدستور 2014، مع كوتا في المجالس المحلية، فضلاً عن أنها تواجه قُوًى ظلامية تحاول الرِّدَّة بها إلى الخلف. وإزاء هذه القوى العدائية للحياة، تحتاج النساء إلى خريطة طريق تُثبت جدية الخطو وفاعلية الدور الذي يُقوي أثرهن في مساعي نضالهن، وفي مجال صُنع القرار والتمكين السياسي والاقتصادي.

إن النساء يترسَّمن بنضالهن، مقاومة كتابة التاريخ بوجهة نظر واحدة مرتهنةً لعلاقات القوى التي تحتكر المعلومة والاعتراف، ومن ثَمَّ حق الأرشفة؛ فالتمييز والإقصاء لمفاعيل النساء يُدار بعدة قواعد: أبوية مُعلنة تراها الأضعف وغير الجديرة، وأيديولوجيا دينية تُتَرْبِس على مفاهيمها البالية، أو حين تفرض السلطة القائمة سرديَّتها، فتُغتال الذاكرة كما اغتيلت منذ قرن ويزيد، مقصيةً أحداثًا نضالية نِسْويَّة، ومتجاهلةً حراك رائدات النهضة النسائية الليبية المحاذية والمتساوقة مع حركة تحرُّر نساء المنطقة والعالم، وفي أول القرن العشرين معايشتها حروبًا وأوبئةً وصراعات وهجرةً ونزوحًا، وإن حكمتها ظروف جيوسياسية واجتماعية واقتصادية؛ إذ ذُكرت ليبيا وقتذاك، كثاني أفقر بلد بالعالم صندوق الرمال وبلا موارد، لكنها واجهت تلك الخطوب بالتقدم بدورها، وسجلت مُنجزَها متجاوزةً الظروف الحرجة.

في هذه الدراسة، نُسلِّط الضوء ونُعمل القراءة للسيَر البديلة المُهمَّشة: فِعلُهُن باليدِ واللسان في المقاومة الوطنية، وفي التأصيل للتعليم والثقافة والعمل التنموي والسياسي. ونقترح ختامًا توصياتٍ كمعالجة تأصيلية للاعتراف وإعادة الاعتبار والأرْشَفَة للسير البديلة، تعتمد آليات على المدى القريب والبعيد، المحلي والعربي؛ لأجل سردية نِسْويَّة مُستحقة.

نستند في ذلك إلى مبدأ المساواة وعدم التمييز وتكافؤ الفرص، ذلك المُنْشَد الحقوقي الأساس في كل خطط التنمية الإنسانية والمستدامة الأممية والعربية، وهنا المُنجَز التأسيسي كرأسمال رمزي اجتماعي، مُلهم لكلِّ مدافع عن حقوق النساء؛ ولأجل تحقيق توازن عادل بمواجهة سردية ظلت غالبة.

أولًا: الإطار المنهجي

1 ـ أهداف البحث

على ما سبق، تأتي أهمية الكشف عن رائدات وفاعلات في حقبة مُهملَة ومنسية، واستقراء إسهاماتهنّ، كَسنَيَر بديلة متجاوزة السائد، بالإحاطة برِهاناتها السياسية والجغرافية والمجتمعية، ومستندة إلى أهداف تتمركز في ما يأتي:

أ ـ إعادة الاعتبار للتاريخ المهمَّش لرائدات ليبيا، والدعوة إلى إعادة قراءة ذاكرة التاريخ بكُلِّه، وبوجهة نظر أخرى، وكفعل من أفعال المقاومة بمواجهة تسلُّط أبوي ظلّ يحتكر أَرْشَفَة التاريخ والذاكرة.

ب ـ التوثيق لتاريخ الحركة النسوية ومفاعيلها ورموزها المناضلة على عدة جبهات، وهذا دور مستحق مع غياب مراكز المعلومات عن المرأة الليبية على الصعيدين: الرسمي والمستقل.

ج ـ تقديم النموذج والقدوة في العمل والمبادرة، لمَن كُنَّ بجهودهن صورة بديلة من كل ما يكرس التبعية والدونية، لمن كُنَّ المُؤصِّلات لأجل أن تتقوَّى بتاريخهن أجيال لاحقة من العاملات لأجل حقوق النساء.

د ـ استعادة السيَر البديلة لا يعني جمودًا عند لحظة أو حنينًا متحيزًا للماضي، بل يعني المعرفة المُقدِّرة للمعافرة والاعتراف بالجهود؛ فسيرورة التاريخ تواليًا، تصير مفاعيل نضالية على مستويات متعددة ودروسًا وسرديات نستعيدها لأجل خلق القدرة على المكاشفة والقراءة المنصفة التي تنظر إلى السياقات، ولا تتعالى بزمنها الآنيّ، وما تحقّق لها.

2 ـ إشكاليَّة البحث

إن تاريخهن لم يُكتب بعد، وقد تعرَّضت الذاكرة الجمعية الليبية إلى تسلط غاشم بتعمُّد الإقصاء والحجب للمعرفة، والاعتراف والإنصاف بتدوينها وأرشفتها؛ ومن ثَمَّ البحث والقراءة الموضوعية لمفاعيلها، فما كُتب ووُثِّق طوال عقود أربعة (1969 ـ 2011)، اعتمد انحيازَ السلطة ووجهة نظرها وانتقاءاتها الإقصائية. وحتى ما نال حظًّا من الحفظ والتوثيق من المؤسسة الرسمية، وفيه ما تضمَّن أرشيفًا معتبرًا لمرويَّات شفوية لتاريخ حركة الجهاد والمقاومة الليبية، فقد سار أغلبه وفق معايرة انتقائية لشخصياتها وجغرافيتها، والنساء في ذلك تعرَّضن لمظلومية فادحة، فما خصَّهن من جهد المؤسسة لا يتجاوز عدد أصابع اليد

الواحدة. وقد جابهت السلطة القائمة تاريخهن باتهاماتٍ طالت انتماءهن الوطني، وإن شاركها في ذلك الحَيْف رجالاتٌ ممن تولَّوا أدوارًا قبل انقلاب عام 1969 الذي قاده العقيد القذافي، وقد تعرضوا لمحاكمات مجحفة تولتها محاكم شعبية ولجان ثورية أصدرت أحكامًا بالسَّجْن أو منعًا من ممارسة وظائفهم، ومن نَجَوْا غادروا البلاد، فيما انكفأت رائدات في الظل داخل البلاد وخارجها، وعومل تاريخهن كصفحة من سيرة بلاد وتاريخها، طُويت وأُهيل عليها الغبار.

3 ـ منهج البحث

هو منهج دراسة الحالة للريادة النسائية الليبية، وذلك بتتبُّع تاريخ الحياة بما فيها من شواهد وخبرات، ومحاولة استقراء وفهم السياقات والتحوُّلات التاريخية والمجتمعية المساندة والمعرقلة، إذ توافرت عيِّنة من الرائدات كحالةٍ مبحوث فيها، أُتيحت لي مقابلتهن مباشرة أو عبر الوسائط الإلكترونية، وتم جمع المعلومات في شكل خريطة أسئلة عامة وخاصة، تقصَّدت سيرتهن: ولادة، ونشأة وعائلة، ومحيطًا، وظروفًا وقيَمًا، سادت زمن الرائدة واشتغالها، والعوائق التي واجهت خيارها في تحقيق الريادة، مع الاطلاع على شواهد ووثائق مثَّلت: أوراق تخرُّج وتوظيف، وبيانات مؤسسية، كجمعية النهضة النسائية، ومُدوَّنة فوتوغرافية تُبرز وقائع وأحداثًا أقامتها الرائدة أو شاركت فيها محليًّا وعربيًّا ودوليًّا. كما تمت الاستفادة من مقابلات وشهادات أفراد من عائلات الرائدات، كُتبت على مُدوَّنات ومواقع التواصُل الاجتماعي، وذلك بعد التواصل والتأكد من مصادرها التي شهدت زخمًا لافتًا، وفي ما أُتيح البوحُ به بعد ثورة شباط/فبراير عام 2011، متمثلاً في المادة المكتوبة كتعريف أو سيرة، وصور تُعرَض للمرَّة الأولى، مما احتفظ به مُقرَّبون من الرائدات أو مهتمون بالذاكرة الوطنية. وهذا كله يحتاج إلى عملٍ مؤسّسي لرصده ومراجعته وتَعَهُّد أرشفته بنُظُم حديثة تجعله متاحًا للاطلاع أو البحث.

4 ـ مصطلحات البحث

حين انطلقت حركة تحرير المرأة مع عشرينيات القرن العشرين، ساد مصطلح النسائية في عناوين الأدبيات المُدافعة، كُتبًا ودوريات ومؤتمرات، أو جاء متبوعًا بتسميات المؤسسات الأهلية المدنية التي خرجت وقتذاك، محددةً أن عضواتها من النساء. وفي ليبيا أيضًا، كان الوضع كذلك، وخرجت الأدبيات: كتبًا ومقالاتٍ صحفية تحمل المصطلح نفسه، ومع أول انطلاق للمنظمات المتعلقة بحقوق النساء، ومن نماذجها جمعية النهضة النسائية 1953 والاتحاد النسائي الليبي 1963، ترسَّمت المصطلح ذاته. وما لا شك فيه

أن الرائدة حميدة العنيزي وبعض رفيقاتها من الرائدات، مع تردُّدهن على تركيا، ثم مصر، وتوالِي توافد الليبيات من مَهْجَرهن، فإنهن ساهمن بدورهن في تبنِّيه، مُعبراتٍ عن تشارك المساعي والمطالبات العربية والدولية بأهمية تحرير المرأة.

وبحسب التتبُّع التاريخي لطلوع حركة حقوق المرأة، فإنها حملت مصطلح النسائية كحركة اجتماعية مع أول خُطْوها، وانحصار قضاياها الأولى في حق الخروج للتعليم وحق العمل، ومقاربتها من منطلق الدور الوطني. ومع تطور موضوعات النساء وتوسعها، فكرًا وفلسفة، وتعدُّد تيارات سجالاتها في الغرب كالنِّسْويَّة الاشتراكية والنسوية الليبرالية والنسوية الراديكالية، حصل الانتقال لمصطلح النسوية، من حركة نسائية إلى فكر وأطروحات نسوية؛ فهي «اتجاه ذو مراحل، وطيف عريض، ومتغيرات وبدائل شتى»[1]. وصار فضاء موضوعاتها يتنامى ويلامس قضايا الفكر السياسي والاقتصادي، وحرية الجسد والإبستمولوجيا، كما تنامى موقع وخيارات النوع. أي أن مصطلح النسوية طلع مع تعمُّق الأطروحات، ومع صيرورة التاريخ، ومع ما حصدته النساء أيضًا، وإذا سلمنا باجتماع النسائية والنسوية تحت مظلة المسألة الأُسّ، وهي الدفاع عن حقوق المرأة ورفض الفجوة النوعية، فإن «الفضاء النسائي جزء من الفضاء النسوي الكبير؛ لأن الفضاء النسوي مهتم بطرح جميع أوضاع النساء ومهتم بطرح الحلول لها»[2]. ولعل ذلك ما حدا بالرائدة صالحة ظافر المدني، في سبق مفاهيمي، لأن تُورِد مصطلح النسوية عام 1946، فكتبت بالخصوص: «لقد أَنْحَتْ عليَّ إحدى صديقاتي باللائمة، بعد نشركم كلمتي المتواضعة التي دعوتُ فيها إلى معالجة الشؤون النسوية وإعطاء هذه الشؤون أهميتها في صحيفتكم»[3].

5 ـ الحدود الزمانيَّة للبحث

إن الإطار الزمني للدراسة، ومحاولة القراءة بما توافر من مقابلات شخصية ومعلومات تاريخية ومصادر وثائقية، جعلني أذهب إلى تقسيمها زمنيًّا على النحو الآتي:

الموجة الأولى: من العشرينيات وحتى الأربعينيات من القرن العشرين، وذلك مع بروز التحديات الوطنية الكبرى: استعمار وحرب، ومجاعة ووباء، ونظام أبوي. كانت أيقونة هذه الموجة، حميدة العنيزي التي ملكت الوعي وروح المبادرة والقدرة الثورية التعبوية،

(1) يمنى الخولي، النسوية وفلسفة العلم (لندن: مؤسسة الهنداوي سي أي سي، 2018)، ص 11.

(2) هند محمود وشيماء طنطاوي، دليل للمبادرات النسوية/النسائية الشابة، تحرير مزن حسن وأمل المهندس؛ مراجعة أحمد الدريني (القاهرة: مؤسسة نظرة للدراسات النسوية، 2016)، ص 16.

(3) شريفة القيادي، رحلة القلم النسائي الليبي (مالطا: منشورات إلقا، 1997)، ص 20.

ضمن مُمهِّدات بناء مشروع طرح قضايا النساء ومقاومة الخطاب السائد. وحاذتها رائدات من جيلها في بنغازي، مثل بديعة فليفلة، وفي الغرب الليبي مثل زكية شعنان أول معلمة بالإقليم، وصالحة ظافر المدني بما لها من أثر المهاجرة الفاعل، وإن ترسَّمت خُطَى حددتها في كتاباتها عام 1946، ثم جاء أول بيان لها عام 1949 حول قضية نشر التعليم والتثقيف لأجل محاولة إحداث تغيير للعلاقات الاجتماعية.

الموجة الثانية: على مدار الخمسينيات والسيتينيات، بما شهدته من تصاعد بارز لمفاعيل الرائدات في مجال التنمية والمجتمع المدني والكتابة الصحفية والمُنتَج الثقافي الأدبي، وعقد اللقاءات والنقاشات الفكرية والمشاركة العربية والمُثاقَفة مع الآخر، من نساء الحقبة تلميذات حميدة العنيزي، رائدات في إعلاء الصوت بالمطالبات بحقوق المرأة. أما أيقونتها، فهي خديجة الجهمي معلنة ذاتها الفاعلة. وهي حقبة شهدت المطالبة المُعلنَة بالتمكين السياسي خلال تظاهرة عام 1963 والتي ترسَّمت نتائجها في التعديلات الدستورية بمنح حق التصويت للنساء .

الموجة الثالثة: تشمل السبعينيات والثمانينيات، وتميزت بفورة نشاط الحركة الطلابية (1976) بجامعات بنغازي وطرابلس والزاوية، واندلاع حركات الاحتجاج، وإعلان الموقف الفكري والسياسي من السلطة الحاكمة ما بعد انقلاب عام 1969، وفضح الخلل في البنية الفكرية الممانعة للدَّمَقْرَطة والحقوق المدنية. ولقد قوبلت طالبات جامعتَيْ بنغازي وطرابلس بمواجهة نابذة لمواقفهن، وفيهن مَنْ دخلن السجون وتعرَّضن للعنف النفسي والجسدي في مكاتب التحقيق الأمني، ثم الإقصاء والنبذ بمنعهن من التعاطي في المجال العام، وقارَب كل ذلك قرارات المنع من مواصلة الدراسة والتوظيف الحكومي ومنع السفر. بعد تلك الأحداث، تَموْقَع النشاط النسائي، ضمن أُطُر النظام أُحادية التوجه، كالاتحاد الاشتراكي والمقاومة الشعبية والتشكيلات الثورية والراهبات الثوريات، مع سيادة مشروع العَسْكرَة (التجييش) لكل المؤسسات المدنية.

6 ـ مصادر البحث

مع غياب العناية بالتوثيق والرصد الذي يتقصَّى أدوار الرائدات، وباعتبار أنه كلما كان الأرشيف «أداة من أدواتِ جماعةٍ ما تسعى إلى فرض نظام ومعايير سياسية وأخلاقية تحقق

مصالحها» [4]، فقد انحصرت المصادر[5] الرسمية والخاصة في بعض الإصدارات التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. ولقد ظل هذا الوضع أربعين عامًا، حيث صدرت بِضعة كتب ذهبت نحو التعريف والشهادات المبتسرة عن رائدات مثل حميدة العنيزي، وسيرة ذاتية مسجلة لخديجة الجهمي، ولعلها الوحيدة التي حُفِظَت سيرتها. أما ما أُتيح للنشر الخاص، وأُذن له بالتداول فكان عن أُمّ الخير العوكلي شاعرة معتقل البريقة، ومختارات لخواطر وأشعار خديجة الجهمي، وكتابًا توثيقيًّا لمقالات وشهادات عن زعيمة الباروني، وتوثيق حلقات رحلة خديجة عبد القادر إلى لندن. وظلت الدوريات والجرائد والمجلات التي تؤرِّخ لمرحلة تطارح سجالات أفكارهن ومُنتجَهُن الثقافي، محتجزةً بمخازن مؤسسات الدولة، ثروة مُهدَّدة بالضياع وتحت طائلة المحو والاندثار مع أثر عوامل الطبيعة والزمن، إذ يُتقاعس عن حفظها بوسائل التقنية الحديثة. وما يلفت الانتباه غياب ملحوظ لكتاب السيرة الذاتية[6] والحوارات[7]، أو قراءات تقدم الاعتراف بمنجزهن، أو تتصدى بالنقد المنهجي والموضوعي لمسيرة الحركة النسائية الليبية.

ثانيًا: الإطار التطبيقي: مدخل تاريخي موجز

قبل أن نُبين مفاعيل الريادة للمرأة الليبية، يجدر بنا معاينة المرحلة التي طلعت وانبثقت من أرضيتها إسهامات الرائدات، والسياقات التاريخية والسياسية التي تفاعلن معها، ومن

---

(4) هدى الصدة، «منهجيات الأرشيف البديلة: الأرشيف النسوي نموذجًا،» موقع المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، 15 آذار/مارس 2019، <http://www.theacss.org/pages/fora - and - debates/857/>.

(5) المصادر (حتى كتابة هذه الدراسة)؛ الكتب: نشر خاص: عبد العالي بوعجيلة العوكلي، **شاعرة معتقل البريقة أم الخير العوكلي** (1997)؛ عزيزة الشيباني، **خواطر بنت الوطن** (طرابلس: المكتبة العلمية العالمية، 1997)، وعبد الله سالم مليطان، **زعيمة الباروني: رائدة الأدب النسائي في ليبيا** (طرابلس: دار مداد، 2009).

أما بالنسبة إلى الكتب نشر حكومي: أمينة حسين بن عامر، **المرأة الليبية إبداع وإشعاع: حميدة العنيزي ونصف قرن من الريادة التعليمية في ليبيا** (طرابلس: مركز جهاد الليبيين، 2005)؛ أمينة حسين بن عامر، **نصف قرن من الإبداع: خديجة الجهمي** (طرابلس: مجلس الثقافة العام، 2006)؛ أسماء مصطفى الأسطى، **أنا خديجة الجهمي** (طرابلس: مجلس الثقافة العام، 2006)، وخديجة عبد القادر، **ليبية في بلاد الإنجليز**، تقديم وإعداد فاطمة غندور (طرابلس: مجلة شؤون ثقافية، هيئة الثقافة والإعلام، 2009).

(6) سير ذاتية نشر خاص صدرت بعد الثورة الليبية 2011: رباب عبد السلام أدهم، **دروب الحياة** (طرابلس: الفرجاني للنشر والتوزيع، 2013)، وعائدة الكبتي، **أول مذيعة تلفزيون ليبية**، إعداد وتحرير فاطمة غندور (طرابلس: ميادين للصحافة والنشر، 2018).

(7) أول كتاب حوارات مع الرائدات: نشر رسمي: فاطمة غندور، **نساء خارج العزلة** (طرابلس: المركز الليبي للدراسات التاريخية، 2012)، ونشر خاص: فاطمة غندور، **نساء الربيع العربي** (طرابلس: ميادين للصحافة والنشر، 2020).

ذلك زخم التراث الشعبي اللامادي من شعر وملحمة وقَصّ وأُمْثُولة، والمادي كالصور التشكيلية متمثلة في ما تصنعه من حاجيات بيوتهن وأسرهن. هذا أُسُّهُ النساء الراويات الحافظات حاملات وحاميات الثقافة الشعبية، من كُنَّ مدرسة للقيَم والموروثات الاجتماعية التي تُثقِّف النشء وتعدُّه للحياة من خلال المفاهيم والأعراف السائدة.

وبعد ذلك، جاء الالتحاق بالمدارس الحديثة المنتظمة التي فتحت أبوابها عام 1842 تقريبًا في العهد العثماني الثاني، وقد أُتيحت في بدايتها لأبناء الموظفين والضباط، «وخوف الانضمام إلى تعليم المدارس المستنصرية، كسب أبناء العامة فرصة الالتحاق بالمدرسة الابتدائية، ويؤرخ لمُفتَتح التعليم الابتدائي للبنات عام 1898، المُسمَّاة بالمدارس الراشيدية، ثم الإعدادية، ومعهد المعلمات مع العام 1903» [8]، ونشير هنا إلى إهمال متابعة الأرشيف العثماني ورصده، لتبيان قائمة المُبْكرات تعليمًا بأكثر من مدينة ليبية، قبل إقفال المدارس عام 1910 مع ظهور ممهدات الاحتلال الإيطالي لليبيا. وتجدُر الإشارة إلى ما شهده العهد العثماني الثاني والعاصمة اسطنبول من استقطاب رجالات وزعامات النهضة، وصدى مشاريع الإصلاح الوطنية، وإطلاق «مجلس المبعوثان» وهو البرلمان الذي جمع ممثلي شعوب الإمبراطورية، ومنهم العرب وبخاصة الليبيون، ممن حملوا بطاقات المُواطَنة العثمانية وعملوا تحت مظلتها. ولقد قاربت كل هذه الظلال طفولةً وصبًا وتعليمًا في الراشيدية، بعضٌ من الرائدات الليبيات، كزكية شعنان، وجميلة الأزمرلي، وبديعة فليفلة، وصالحة ظافر، وحميدة العنيزي.

1 ـ نساء المقاومة والجهاد الليبي

عند أرْشَفة المرويَّات المسجلة والمُدوّنة لحركة المقاومة الوطنية، ومعارك الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي، غُيبت أدوار النساء واستُبعد طرح السؤال حولهن جمعًا توثيقيًّا وبحثًا في الذاكرة النضالية. وذلك على الرغم من تعدد جبهات مفاعيلهن؛ إذ قاسين ظروف العيش المضني، فمع خروج الرجال المقاتلين إلى ساحات قريبة وبعيدة، تحمَّلن مسؤولية اقتصاد بيوتهن في زمن القهر والجوع والمرض، وقد برزت منهن مقاتلات اخترن مواجهة المعتدي دفاعًا عن حياضهن. ويحفظ التاريخ الشفوي أسماء نماذج منهن توارثتها الذاكرة الجمعية، كالمجاهدة مبروكة العلاقية من مدينة صبراته غرب طرابلس، والتي عزَّز والدها فيها قيَم الفروسية والشجاعة؛ فركبت الفَرَس، وحلقت شعرها، وشاركت في معركة جادو

(8) أحمد محمد العاقل، «التعليم الحديث في ليبيا: منذ بداية العهد العثماني الثاني حتى عام 1950،» مركز المؤرخ للدراسات التاريخية والأثرية، ص 9، <https://bit.ly/3a6oUZd>.

ومعركة طويلة السوق، عام 1917. كانت مبروكة تقاتل منفردةً وتنصب الكمائن لعدوِّها. والشاعرة والمجاهدة مبروكة الوكواك [9] من المرج (شرق ليبيا) التي تواصلت وزوجها مع عمر المختار شيخ المجاهدين الليبيين، في قلب ملاحم الجهاد الوطني، فاعتُقلت وزُجَّ بها وعائلتها في معتقل سلوق، ثم سُجنت لتحريضها المقاومين وقيامها بمَهمَّات جهادية، كُلفت بها أثناء المعارك اعتمادًا على حيَلها في التنقل. وامتلكت مثيلاتها في مجتمع البداوة والريف روحًا معافرة وثقةً بالنفس، وذلك لما حظيت به المرأة من وضعية مستقلة مكَّنتها من ممارسة دورها في الفضاء العام؛ إذ إن بعض القبائل في الشرق الليبي يُنسب فيها الابن لأمِّه، وعند الطوارق تتم وراثة السلطة في القبيلة من طريق الأم، وتستقبل المرأة ضيفها في مناخ من الثقة تعززه أعراف الجماعة المرعية، ومما عُرف من تقاليد يتأكد لنا خيار المرأة وتقرير مصيرها باختيار شريك حياتها، وذلك في ممارسة عُرفية، تُسمَّى «مقاعد أصحاب الصوب»، حيث تجتمع الفتاة بشباب من قبيلتها تُجالسهم وتختبر معارفهم وحضور بديهتهم، سواء عبر نص شعري أو قول مأثور متبادل، وغالبًا ما تطرح الفتاة لغزها الذي يمنح فكهُ صك الفوز بقلبها لزوج المستقبل، والحضور شهود.

أرَّخت الشاعرات الشعبيات في نصوص ملحمية كل تفاصيل الوجع والألم؛ ما مثَّل شعر المقاومة من قَبيل ما نظمته مريم الحجلا، وأُمّ الخير العوكلي، وفاطمة بن عثمان. وذلك توثيقًا لما أعمله الاستعمار من سياسة الأرض المحروقة بإعدامات المحاكم الصُّورية، كما بالنفي والتهجير إلى جُزر الموت الإيطالية، والمُعتقلات التي كانت سجنًا تُحاصَر فيه العائلات وتُعاقب من دون ذنب، ويجوس فيها المرض والموت الجماعي.

2 ـ مفاعيل الريادة للمرأة الليبية

أ ـ الزعيمة النسوية: حميدة العنيزي

أما في ما خصَّ الزعيمة النِّسْويَّة **حميدة العنيزي** تحديدًا، فإن المسار التاريخي لنضالها ومفاعيلها لأجل تحرُّر المرأة الليبية ونيلها حقوقها، تم على مرحلتين مَثَّلتا خريطة طريق مشروعها النسوي زعيمة ورائدةً وطنيةً وعربية.

– **المرحلة الأولى**: ارتبطت بظروف تاريخية حرجة وقاسية، «فحميدة وُلدت عام 1892 بمدينة بنغازي من جيل تأسس في تعليمه مع نهاية الحقبة العثمانية الثانية في ليبيا،

(9) مبروكة الوكواك، انظر صفحة الفيس بوك باسم الشاعرة والمجاهدة مبروكة الواكواك العرفي، <https:// ar-ar.facebook.com/wakwakia>.

ضمن نخبة تعلمت في المدرسة العثمانية الراشيدية. ولتفوقها تحصلت على فرصة تطوير تعليمها بمعهد المعلمات بإسطنبول، تركيا عام 1910»[10]. خمس سنوات في أول رحلة لها خارج مدينتها، قاربت فيها أوضاعًا ومتغيرات، منها مفاتيح اليقظة ورموز النهضة العربية، ممن وُجِدوا بعاصمة الإمبراطورية، وتعرفت إلى زميلات لها طليعيات من دول مختلفة، فتفتحت على عوالم برزت فيها مُمهِّدات مطالبات رفع صوت المرأة وحقها في المجال الخاص والعام. لكنها حين عادت إلى بنغازي، اصطدمت بوقائع الاحتلال الإيطالي (1911 ـ 1943) والممارسات التي قلبت أحوال المدينة، وألقت بثقلها على الأوضاع المعيشية: حرب وجوع ومرض، مثلث البؤس يجوس بين الناس ومُعقبات وباء الطاعون عام 1904، الذي حصد الأرواح وخلَّف ضحايا من الأيتام والمُعْوَزين من الفئات المُهمَّشة، وأصداء حراك وطني ومقاومة شعبية، دفعت الثمن غاليًا بملاحقتها وغلق كل سبل الحياة بوجهها، فلقد كان القهر والقمع يطال كل فئات المجتمع.

وسط هذه الوضعية المتخلخلة، انبرت المعلمة حميدة، واستنفرت طاقاتها في مقاومة ترفض الارتكان للحاصل، على الرغم من أن الطريق وعر وشائك. فتحت حميدة فصلاً دراسيًّا في بيتها عام 1917 لتعليم البنات، وبدأت بفتيات العائلة والجيران، واعتمدت منهجًا تعليميًا، مما درسته وطوَّعته بما يلائم مبتدأ الخطو. كانت حولها تدور حساسيات ورفض ومعارضة ذكورية، في مجتمع لم يرَ فعلها أولوية في ظروفه الراهنة. كانت المرأة هي الطرف الأضعف، كما عبَّرت حميدة عن ذلك في مقابلة صحفية معها كمُؤسِسة للتعليم النسوي الوطني أثناء الاحتلال الإيطالي وبعده: «كان مجرد إقدامي على العمل وقتذاك في حد ذاته نضالاً، إذ واجهتني صعوبات وصعوبات، منها التقاليد والاستعمار، وقد جُوبهت من أجل هذه الرسالة بتهمة أنني أُعلم البنات في بيتي»[11]، لكن مسار المجابهة جعلها تستثمر كل هدوء حذِر، والأوضاع حرب تجوس بنيرانها، فتُوسع دائرة طموحها تجاه تعليم النساء ومحو أميَّتهن، وتعمل جهدها لإعادة افتتاح معهد المعلمات بحي (البِرْكة) وتصير المديرة والمعلمة، وتسهم في تخريج أول دفعة. كُنَّ خمسين طالبة مثَّلن الرعيل الأول والنواة الأولى عام 1921، وهو موعد مبكر إذا ما قيس بتاريخ مثل هذه الخطوة في معظم الأقطار العربية. وحين واجهت حميدة قرارًا متوقعًا من الإدارة الإيطالية

(10) غندور، نساء الربيع العربي، ص 123 - 126 (مقابلة مع السيدة نجاة طرخان وهي ابنة أخ الرائدة حميدة العنيزي (طرخان)).

(11) نقلاً عن: شريفة القيادي، رحلة القلم النسائي الليبي (طرابلس: دار إلقا، 1997)، وعدد مجلة المرأة، العدد 6 (10 حزيران/يونيو 1965)، ص 6.

بقصر التعليم على المنهج واللغة الإيطالية، سرَّبت سرًّا المنهج المصري، وساعدتها في ذلك مُجايلتُها بديعة فليفلة.

في زمن طالت الضربات القاسية النسيج الاجتماعي، خاضت حميدة مشروعها الأهلي، وبما يُؤرخ للمَأْسَسة وجدوى العمل المنظم ما سيبصم دربها تواليًا، وكان مفتتحهُ جمعية للفئات الهشَّة الضعيفة من الأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة وأبناء ضحايا الحرب والطاعون، وهي على الأرض تجوب الأحياء. كانت حميدة صوت الفقير والمُهمَّش والمحروم، وملكت مقدرةً وتأثيرًا، جعلها صاحبة صوت مسموع يجد قبولاً عند التجار الصغار الذين امتلكوا قدرات مادية لدعم عملها التطوُّعي.

إن مشروعها النسوي الممتد من العشرية الأولى وحتى الرابعة من القرن العشرين، نشدت فيه تصحيح وضعية المرأة، وهي حين حققت معالجاتها وفق سياقات راهنها نظرت لنسويتها على أنها قضية مجتمع بالأساس، وليست قضية فرد تصادَف أنه امرأة. لقد وكَّدت على التوازن والعدل في الفرص المتاحة للنوع، أسهمّ البدء بتعليم الفتيات بموازاة تعلُّم الفتيان في تبديل نظرة المرأة إلى نفسها ونظرة المجتمع إليها.

إن الإرادة الفاعلة والتعايش مع المِحَن من أساليب المقاومة التي انتهجتها حميدة، هذه الرائدة التي علا اسمها في ما بعد مفردًا بصيغة الجمع في سيرة النضال النسوي الليبي؛ فنهاية الأربعينيات يُؤرخ فيها لأسماء آباء مؤسسين هم قادة وطنيون عملوا لأجل الدعوة للتحرر والاستقلال وتوحيد الأقاليم الليبية: بَرْقة وطرابلس وفزَّان، لكن اسمها وحضورها تفرَّدا لحظتها، زعيمةً إصلاحيةً تربويةً ناهضة، حاذت دورهم الوطني وانشغلت بقضية المرأة، بل ونافست حضورهم ومساعيَهم على أرض الواقع، فدورها التاريخي شقته شابَّة، فارقها عنهم أنها امرأة عاركت وجابهت ضروبًا من الحَجْب المجتمعي والقهر الاستعماري.

– **المرحلة الثانية** لمشروع حميدة تبدأ مع الخمسينيات والاستقلال الوطني وإعلان الدولة في 24 كانون الأول/ ديسمبر عام 1951، وضمن أُطُر المَأْسَسة التي شرعتها مع العمل التطوُّعي الأهلي، تُطلق وتكون السند الرئيس لمنظمات أهلية مدنية في بنغازي، ومن بينها: أول جمعية لنواة الممرضات والاتحاد النسائي الليبي وحركة المرشدات الكشفية، ثم جمعية النهضة النسائية عام 1953، وقد رأسَت الإصدار الصحفي (رسالة الجمعية)، كنشرة جعلت حضور المرأة في المناخ العام متداوَلاً، وعلى الرغم من عُسر الموقف المجتمعي ومناهضة خروج المرأة للتعلُّم أو العمل، فإن جهودها المبكرة كانت البذرة لخلق الجيل

المبادر لمن تقدمن لاحقًا في ريادة أكثر من مجال، تنموي ومدني، وقد دفعت حميدة بأسماء منهن، حميدة بن عامر أول مذيعة راديو، وخديجة الجهمي الصوت القيادي الإصلاحي، وعائشة زُرَيق رائدة التنمية الريفية.

ب ـ ريادة النضال التحرُّري: خديجة الجهمي

في تاريخ ليبيا، تُعدُّ حميدة العنيزي رائدةً ثورية في الحركة النسوية وذلك في مجال التأصيل التعليمي والمجتمع المدني، فيما تمثل خديجة (1921 ـ 1996) ريادة النضال التحرري المدافع عن قضية المرأة والمتصدي لاختراقها الحُجُب، وهي تمثل مرحلة صاعدة من التمرُّد النسوي، معلنةً عن ذاتها ومتجاوزة التمييز الذي رسَّخته التقاليد الأبوية. عاشت في صباها تجارب مريرة قوَّتها؛ إذ عاصرت الحرب العالمية الثانية ونزحت مع من التحفوا الخيام بأطراف بنغازي معتقدين أنهم في مأمن. عملت ممرضةً وخاطت الأثواب من مظلات الطائرات الحربية لتوافر المال لعيشها وأسرتها، وردد عنها مُجايلُوها شجاعتها، وهي تلميذة توجه رسالة إلى زعيم إيطاليا الفاشية «موسيليني» إذ كتبت له قائلة: «احتلالك بلادي غير صحيح، ولا بد لك من أن تفكر لتترك ليبيا لأهلها، وإلا سيأتي يوم سيكون تراب بلدي جحيمًا على إيطاليا»[12]. وتعرَّض والدها، عامل المطبعة لجريدة بريد برقة الشاعر الشعبي عبد الله الجهمي الذي سيُورثها نَظْم الشعر الغنائي، لمُساءلة مكتب الاستعلامات الإيطالي الأمني، وغادر إلى مصر في إثر تلك المضايقات.

كان التمرد هو القرار الذي برزت فيه أناها وخيارها، لم تؤمن بفوارق تمييزية بل آمنت بالتكافؤ؛ فكُلُّ امرئٍ وقدراته. في سفرها الأول منفردة عام 1946،على الرغم من مُعقِّبات أجواء الحرب من أجل اللحاق بوالدها [13]، قطعت رحلة من بنغازي إلى مصر مشيًا على الأقدام ومن سيارة إلى أخرى، برًّا بلا جواز سفر أو مال، متنكرةً بزي سيدة عجوز، ومتوجسة من الطامعين في فتاة تسافر لوحدها. وما لبثت أن أعادت الكرَّة عام 1952 لتعايش في القاهرة حراك المرأة والمجتمع المنفتح، ووجدت نفسها وتطلُّعاتها في هذا المناخ المغاير، فإذا بها تعمل خيَّاطةً، وتلتحق بدورات جامعة عابدين الليلية، وتتدرب على العمل الصحفي. وفي نادي الشاب الليبي بالقاهرة ساجلت في قضايا مثلت تابوات حينذاك: المرأة وتولِّي القضاء، وموقف الإسلام من تحرير المرأة، محدثةً أثرًا مفارقًا بآرائها، ما جعلها مرشحة

(12) سيرة خديجة الجهمي، انظر: الأسطى، أنا خديجة الجهمي، وأحمد الفيتوري، سيرة بنغازي (القاهرة: دار ميريت، 2012).

(13) المصدر نفسه.

لإدارة النادي الليبي من مرتاديه الرجال الذين صوّتوا لها، لكن صوتًا واحدًا كان فارقًا ليفوز الرجل المنافس بالمنصب.

بعد خمس سنوات، عادت إلى بنغازي، وتلقفتها حميدة العنيزي لمسار جديد؛ إذ شجعتها على خوض تجربة إعلاء الصوت عبر العمل الإعلامي. ومع أول خروج لصوتها بالراديو أثارت في واقع الأمر حالةً من انقسام الرأي والموقف: بين محاربين شرسين لمست هجومهم في مواقف عنف لفظي واجهتها في الشارع وعبر تنقلاتها، ومستقبلين بوعي ومنتبهين للحجر الذي ألقته في الماء الراكد لمجتمعها النمطي المُقْصِي لأدوار النساء. لكنها مررت رسائلها في التوعية الاجتماعية، ونادت بحقوق النساء والمساواة وتكافؤ الفرص، وسرَّبت ذلك عبر قصص من الواقع على متن «أضواء على المجتمع»، وهو برنامجها الاجتماعي الإصلاحي الذي استمر ثمانية عشر عامًا.

ثم ترأَّست خديجة إدارة أول مجلة نسوية ليبية **المرأة الجديدة** عام 1965، وهي المجلة التي عملت على استقطاب الكوادر وتدريبها في مجالات العمل الصحفي، وحققت تميُّزًا إيجابيًّا بوجود المرأة المصورة والمخرجة.الفنية، وفي كادر التحرير والتحقيقات الصحفية والترجمة. كتبت خديجة الافتتاحية بقلمها، وراحت تفرز من خلالها ذاتها، بما تأمله من مجتمعها، وتفضح العوائق وتقترح آليات مواجهتها. أما ما كان يلمح إلى حسها الليبرالي وموقفها التحرري، ففي المبدأ كان إيمانها بحرية الصحافة، وتلك المساحة التي أفردتها لوجهات النظر في قضية المرأة المُعبَّر عنها في المقالات والمتداولة جيلَي الخمسينيات والستينيات وما بعدهما، فقد أوجدت براحًا لقبول الرأي والرأي المخالف، التقليدي والحداثوي، وتداولها.

إن المُتفحِّص لأغلفة عدة أعداد من المجلة، يلامس ما أبرزته خديجة الجهمي من حداثوية، فقد كانت هناك جرأة في حضور وجه المرأة الليبية وجسدها في مواقع عملها: العاملة والموظفة والفنانة والرياضية. بدت المجلة في مبتدأ أعدادها مجاهرةً بالتطلُّعات المتصارَع لأجلها، في مقابل كل المختنقَات المعارضة لاستقلالية الرأي والموقف من قضايا التحرر، وكل ما يصبُّ في وعاء النضال لأجل المساواة وعدم التمييز. إن مجلة **المرأة الجديدة**، التي تحولت إلى مجلة البيت، ما عانت انقطاعًا في إصدارها بعد غياب خديجة، وهي تمثل إرثًا ثقافيًا سوسيولوجيًا لم يلقَ انتباهة، لا على سبيل الأرشفة ولا في تتبُّع راصد لتاريخ مرحلة مُهمَّة من صناعة أدوار الرائدات، مع غياب القراءة المتفحصة لفكرهن وأدوارهن الصاعدة وقتذاك.

ج ـ عنوان التنمية الريفية: عائشة زُرَيق

وُلِدت عائشة بمدينة بنغازي عام 1942، ترددت جدتها ووالدتها في الموافقة على محو أميتها وولوجها المدرسة الابتدائية عام 1948 مع طلائع الفتيات من جيلها، «كانت أوضاع المرأة صعبة، كانوا ينظرون على أن المدرسة للبنين فقط، والبنات عليهن تحفُّظات لا ضرورة لأن يتعلمن»[14]. لكن موقف الأب يحسم المسألة منتبهًا إلى ما يدور من مخاض، فلقد كان موضوع تعليم المرأة يموج طرحهُ في المجتمع. قالت عائشة مستعيدة تلك اللحظة: «وجدته هو نفسه يقول البنت لازم تمشي للمدرسة، وبعدين شفت اللي كانوا برَّا ليبيا ورجعوا، منهم رجعوا من مصر وتونس واليونان، رجعوا وبناتهم كانوا داخلين مدارس ومتعلمات»[15].

اضطلعت عائشة المعلمة بمهمة التنمية الريفية، منتبهةً إلى العقبات التي تَحُول دون تمكين النساء في الريف، في مقابل الفتيان الذين يحظون بفرص وخيارات في الخروج للتعلُّم أو العمل، وذلك وفق ثقافة ذكورية سائدة. في هذا الإطار، عملت عائشة على تحديد أولوياتها وتنسيق مقترحاتها لأجل تحسين الوقائع والظروف القائمة، فانشغلت بالفتيات الفلاحات اللاتي يُضيَّق عليهن في الخروج للتعلم والعمل؛ ففي الأرياف بشرق ليبيا (درياته، قمينس، المرج)، كان عملهن مقصورًا على الأراضي الزراعية. لذلك، انتهجت عائشة خريطة عملية تحضر فيها بمقرَّاتهن، لمن رفض آباؤهن ذهاب بناته إلى المدرسة، وهناك فصلٌ دراسيٌّ جامعٌ لهن. ومع الدروس التعليمية كانت هناك دروس في الزراعة والتربة والأسمدة وأنواعهما وطرق الري الاقتصادي. وفي أرشيف صورها نجد استعادة ليوميات عملها، حين التقت آباء الفلاحات وقدمت محاضراتها حول أهمية أن تتقوَّى البنات بالمعارف الجديدة والعمل المُرشد. وفي مقابلتها وزير الزراعة آنذاك، قدمت مقترحها بضرورة مساعدة أصحاب المزارع الصغيرة لتوفير عائد من شراء منتوجهم، ونظمت حملة بالتشبيك مع جمعية النهضة النسائية للاعتماد على زراعة القمح، بدلاً من الارتكان بالكامل إلى المساعدات والدعم الغذائي الدولي، وعززت دعوتها بآلية تقديم ضمانات للفلاحين في هيئة قروض صغيرة مُيسَّرة يدعمها رجال الأعمال في مجتمع ما قبل النِّفْط.

كان مشروعها التنموي بقصد التمكين الاقتصادي للمرأة وتقليل الفجوة بين الرجل والمرأة في القطاع الفلاحي، وبخاصة عند تقسيم الموارد، ووجدت في العمل الإعلامي

---

(14) غندور، المصدر نفسه، ص 46.

(15) المصدر نفسه، ص 55 - 56.

وسيلةً لبث توعيتها فنشرت المقالات في الصحف تناشد المسؤولين والداعمين لأجل خلق حالة المُناصرة لخريطتها. وعبر برنامجها بالراديو اعتنت بتقديم الشروحات التي تطور قدرات النوع الاجتماعي ومهاراته في المجالين: الزراعي والغذائي، كونهما يتشاركان في المُعوِّقات، ولم تُغيب الجانب البيئي، علمًا بأنها تلقَّت دوراتٍ بالمركز البريطاني في المفاهيم المتعلقة بالاستدامة عند الحفاظ على البيئة.

وأقتطف هنا من مقابلة معها، ما تنازعها من مشاعر وما واجهته من خيارات، فلا تجربة سابقة تتخذها مرجعًا ودليلَ عمل، قالت: «عندما بدأت حصلت إرباكات، امرأة وتتنقل بين الأراضي، وصلتُ في لحظات، فكرت في إلغاء المشروع، ما العمل وسط تلك الأجواء؟ ثم قررت أن أتنقل بالسيارة، وأدخل البيوت، وأتواصل، وأسأل عنهن وعن أحوالهن، كان الزواج المبكر يشكل عائقًا، وكان عليَّ أن لا أتعالى على تلك التقاليد، ولا على معارفهن، وأعمل على ترغيبهن في التعلُّم وتشجيع الإيجابيات فيهن. بعد فترة، وجدت أنهن بالمركز الذي أقمته قريبًا من أراضيهن، وصارت منهن متخرجات يتطوعن لتعليم فتيات أصغر منهن صاحبات وجارات، وصارت منتجات المزارع تجد مكانها في مقتنيات جمعية النهضة النسائية، وعند الناس»[16].

لقد قدمت عائشة تقاريرها وخططها في التنمية الريفية أثناء مشاركاتها المُوثَّقة لديها إلى اليوم، في منتديات التنمية المحلية والمؤتمرات الخارجية بالخصوص. هي تحتفظ بصورها في القاهرة وبيروت وتونس، وفي تجربتها كعضوة مؤسسة في جمعية النهضة النسائية، ذهبت باتجاه خلق أواصر بين الفلاحات والناشطات النسويات، وألحَّت على تفعيل دور الجمعية في دعم مشروع النساء التنموي وتطويره، ورشحت من الفتيات قياديات لتصل أصواتهن، ويُعلِنَّ مطالبهن بتحسين الأوضاع. إننا نلحظ في مشروع عائشة زريق مرجعًا وأدلة صارت معاصرة في جهود التنمية المحلية؛ وبخاصة تلك التي ترتكز على التنمية المكانية، وبما يحقق العدالة الاجتماعية وتقليل الفجوة النوعية.

3 ـ دعامة الحركة النِّسْويَّة: المهاجرات

حكمت هجرةَ وتنقُّلَ الليبيين عدة ظروفٌ، فيهم التجار والرُّحل، مع موقع استراتيجي في قلب البحر المتوسط وشمال أفريقيا. ومع مجيء الاستعمار الإيطالي الفاشي[17]،

(16) المصدر نفسه.

(17) فظائع الاستعمار الإيطالي بلغت مداها العنيف، الإعدام الجماعي بمحاكم صورية، والنفي عبر البحر في ظروف سيئة وهو ما أدى إلى موتى بالجملة قبل وصولهم إلى جزر إيطاليا، معتقلات تم سجن الآلاف من العائلات=

وحرب عالمية تقاتلت أطرافها على الجغرافيا الليبية محورًا وحلفاء، كما لم يحدث في بقية الشمال الأفريقي، فإن ذلك كله ألقى بثقله على أوضاع المواطنين عقودًا من الزمن؛ فلا مُقوِّمات للحياة، والبنية التحتية متهالكة فلا كهرباء ولا ماء، وتاليًا، هجرة أول القرن العشرين، «وقد ساعدت الأهالي الجغرافيا المنبسطة دون حدود، مثال شرق ليبيا مصر، لم تكن الحدود واضحة، ولم تكن موثقة بخرائط، ولم تحددها اتفاقات رسمية بين مصر وليبيا؛ لأن كليهما كانا خاضعين للسلطة السياسية نفسها، وهي الخلافة العثمانية. وقد استمر هذا الوضع حتى تمت تسويته في اتفاقية سنة 1952»[18]. ومع ذلك، فإن الجاليات الليبية في جغرافيا هجرتها لبلدان تعددت، لم تنكفئ على نفسها، بل اندمجت مع متغيرات الأمكنة التي توطَّنت فيها، والتي أولت المرأة حيِّزًا متاحًا في التعليم العالي والعمل والأنشطة المدنية والانفتاح المجتمعي. وملكت العائدات الليبيات تجارب وخبرات متفاوتة، ألقت بظلالها الفكرية والتعليمية والثقافية على الخطاب البديل، عن التحرُّر وإثارة قضايا حقوق المرأة.

إن عودة العائلات المهاجرة مثَّلت متغيرًا فاعلاً وركنًا أساسيًّا في موجبات الحركة النسوية في ليبيا، وأوجدت تفاعلاً مع محمول نسويات الداخل وتطلّعاتهن. ولم يوضع ذلك التعاطي والاندماج في مشروع التحرر النسوي والتنمية والتمكين على مَحكِّ القراءة الكاشفة عن مساحة الأثر الفاعل للمهاجرات، مع أن عددهن ليس عابرًا في مسار الحركة النسوية، ونعرض نموذجًا لذلك.

أ ـ المانفيستو الإذاعي: صالحة ظافر المدني

هاجرت عائلة ظافر المدني من طرابلس إلى مكة عام 1920، «وتعلمت بنات العائلة في كُتَّاب الحجاز، ثم المدرسة الراشيدية للبنات»[19]، وأُتيح التفاعل السياسي لرجالات العائلة إذ حازوا مناصب مستشارين سياسيين في الحجاز والآستانة، وبعد ما يقارب عقدًا ونصف غادرت العائلة إلى روما، سنةَ الحرب العالمية الثانية.

استثمرت صالحة ظافر (1923 ـ 2006) ذلك في القراءة وتعلُّم اللغة الإيطالية؛ فحين جمعها لقاء مع المستشرقة الإيطالية مارينا نيلينيا، اتفقتا على تبادل تعلّم لغة كل منهما، وفي

=في وضعية بائسة عانوا انتشار الأوبئة والجوع، سور بالأسلاك المكهربة لآلاف الكيلومترات، وهو ما سجل سبقًا في إقامته على مستوى كل الجغرافيا المحيطة، يقطع الصحراء لمنع الإمدادات للمجاهدين الليبيين، كما وتم منع الأحزاب، ومؤسسات المجتمع الأهلي، وإصدار الصحف.

(18) منصور الكيخيا، **ليبيا الزمان والمكان والإنسان** (القاهرة: منشورات الوسط، 2020)، ص 125.

(19) غندور، **نساء خارج العزلة**، مقابلة الباحثة مع صالحة ظافر، ص 31.

عام 1945 عادت العائلة إلى طرابلس، حيث كانت الإدارة الاستعمارية البريطانية قد خلقت وضعية استقرار، وأطلقت مساحة للأفراد في النشاط الخاص والعمل السياسي بتكوين الأحزاب وإنشاء الصحف.

أصبحت صالحة في مقدمة فتيات طرابلس في ما يخص العمل المُعلَن، مدافعةً عن تمكين المرأة وترقية وضعيتها، وشرعت في الكتابة الصحفية عام 1945 بجريدة طرابلس الغرب، متوجسة في البدء ومُوقِّعةً بأسماء مستعارة: (فتاة تهامة)، (المعلمة المخلصة)، (قارئة)، لكنها حين أطلقت بيانها بالراديو عام 1949 أعلنت اسمها. أما هذا البيان التاريخي الذي بدا كـ «مانفيستو» يُحرض على حراك المرأة، فإنه كان صرخة صريحة «هيَّا إلى العلم، والخلاص من الجهل المُشين... لا تستمعن إلى أصوات الرجعيين أعداء كل تقدم»[20]. وكان من مفعول بيانها تدافُع الطالبات للتسجيل بمعهد المعلمات الذي تولت إدارته، فشرَّعت الباب لدورات صباحية ومسائية لمحو الأمية والصفوف الدراسية الأولى. ثم ترأَّست جمعية النهضة النسائية عام 1958، وصالحة ظافر يُؤرَّخ لها في مسيرة القلم النسائي الليبي بكتاباتها الصحفية، التي ظهر بها للمرة الأولى مصطلح النسوية عام 1946 بجريدة طرابلس الغرب.

ب ـ أول مسؤولة في الإدارة التعليمية بليبيا: فتحية عاشور إسماعيل

وُلِدت فتحية بالقاهرة عام 1926، ودرست الأدب الإنكليزي بجامعة الملك فاروق عام 1943، وكان لها دور كبير في تنظيم الإدارة التعليمية بمدينة درنة شرق ليبيا، فهي ضمن قلة من الفتيات من حملة الشهادة العليا. لذلك، تقرر أن تُعين «كأول مديرة إدارة تعليمية في تاريخ ليبيا وتنشغل مع ذلك بتعليم البنات، مديرةً لمدرسة البنات عام 1945»[21]. إن ما أحدثتهُ فتحية من فارق تربوي تعليمي بصفتها مسؤولة مؤسسة، أغلب موظفيها من الرجال، زرع ثقة بكفاءة المرأة في مرحلة، كانت بعض نساء المدن الصغيرة، لم تتأسس علاقتهن بعد بالتعليم، أو تتوافر لَهُنَّ مناهج الأنشطة، كالفنون والرياضة والثقافة. لكن فتحية عاشور أوجدت مناخًا كسر قاعدة قناعة عدم تولِّي المرأة المناصب الإدارية على نطاق واسع لاحقًا؛ فإدارتها التعليمية شملت مدنًا وقرى ريفية محيطة بدرنة، إذ اتكأت على دراسة موضوعية تحدد الحاجات المتعلقة بالفقر والعَوَز وذهبت إلى سد ثغراتها، عاملةً على الأرض منتبهةً

(20) القيادي، رحلة القلم النسائي الليبي، ص 20.

(21) «ذكرى لاتنسى مع السيدة فتحية عاشور» شهادة سالم العوكلي ومحمد الحمر، على الفايس بوك بتاريخ 8 آذار/مارس 2018.

إلى أحوال التلامذة كما الموظفين. وفي مذكراته، ومنها رسائله لزوجته، يخصص المؤرخ الفلسطيني الأصل نقولا زيادة الذي عمل نائب مدير المعارف بولاية برقة، صفحاتٍ عن أوضاع المرأة؛ إذ يُشيد بحصول فتاة على الترتيب الأول بالمدارس الابتدائية هي التلميذة عائشة زريق. أما فتحية عاشور، فجملته عنها فيها ما يدلّل على منجزها المفارق في زمنه، إذ كتب لزوجته: «لقد لقيَتْ مقاومة من الناس، لكن لأنها بنت البلد، وتسير سافرة ولا تبالي، نجحت»[22].

4 ـ النضال السياسي: بواكير وإرهاصات

أ ـ من حوّاء كانون إلى فاطمة عاشور وبهيجة المشيرقي

تُجمع أغلب الدراسات في تعليلها ضعف الإسهام النسائي في العمل السياسي العربي، بأن مردَّه عوامل مُعيقة وحاجبة، منها تنشئة أسرية تعتمد التمييز السلبي (تغليب الذكور على الإناث)، وغياب التنشئة السياسية ومناخاتها، وموروث ثقافي سائد يبعد إمكانية انخراط المرأة في الفعل السياسي من منطلق أن العقل السياسي هو احتكار ذكوري. كما أن هناك مُعوِّقات اقتصادية؛ إذ لم تتحقق للنساء الاستقلالية المادية ولا حيازة المناصب القيادية ضمن الأحزاب والنقابات، ما مثّل فجوة بين الجنسين على وجه الخصوص.

في مقاومة تلك التحديات، ولأجل تحقيق تمثيل سياسي للمرأة، بوّابته الحركة الطّالبية وضمن أرشيف الصحافة الليبية، نقرأ خبرًا يوثق لانتخابات أعضاء مجلس اتحاد كلية التجارة والاقتصاد في الجامعة الليبية ببنغازي عام 1960، وعِقْد الستينيات هو عقد نشِط في حراك الطلاب وإنتاجهم الثقافي. ومضمون الخبر كالتالي: «تفوز الطالبة حوّاء كانون عضوًا بالاتحاد ممثلة السنة الأولى، بعد أن تعادلت في الأصوات مع منافسها خمس مرات»[23]. وفي الخبر تفاصيل عن حملة تولاها مناهضون لترشُّح الطالبات، لكنها تبوء بالفشل.

في مؤشر مبكر ومدلِّل على مستوى الوعي بالتمكين، ولأجل خلق حالة الموازنة بين الجنسين وتعزيز كفاءة الأداء، عُينت الرائدة فاطمة عاشور إسماعيل خريجة كلية الحقوق من جامعة عين شمس المصرية في المجال الدبلوماسي. وبحسب الشهادة المُدوَّنة ممن زاملها في العمل الدبلوماسي عاشور الإمام، وبما يتوافق مع إجابة علاء

(22) نقولا زيادة، رسائل من برقة (أكسفورد: مركز الدراسات الليبية، 2008)، ص 34.

(23) القيادي، رحلة القلم النسائي الليبي، ص 101.

السنوسي ابن شقيقتها عن أسئلتنا عن مسار وظيفتها[24]، نعرف أنها تدرجت من مستشارة قانونية في وزارة الخارجية عام 1963، إلى مستشارة بالسفارة الليبية بالقاهرة، ثم رُقِّيت إلى درجة وزير مُفوَّض في عملها في السفارة الليبية بواشنطن مع إشرافها ملحقًا ثقافيًّا على الطلبة المبعوثين للدراسة. ولقد مكَّنتها خبرتها الدبلوماسية وتحقُّق مقدرتها في العمل الدبلوماسي من العمل لاحقًا مستشارةً، ثم خبيرةً في قضايا النزاع والسلام بأفريقيا والشرق الأوسط في هيئة الأمم المتحدة مدة عقود. على الرغم من أن فاطمة لها تاريخ مُوثَّق بالصور والشهادات، فإنها من المنفيات المُهمَّشات في تاريخ الدبلوماسية الليبية، حتى تاريخ وفاتها عام 2005.

وكان أكبر حدث شهدته طرابلس في الستينيات، ووثَّقته الصحف صورةً وخبرًا، خروج نخبة الليبيات في تظاهرة بوسط ميدان طرابلس، قاطعاتٍ الشوارع المحيطة المطالبة بحق الاقتراع. وقد سبقت ذلك نداءات مماثلة تقدمتْ بها نسويات مستقلَّات وعضوات من جمعيتَي النهضة النسائية بطرابلس وبنغازي والمركز الثقافي للمرأة الليبية. وحق التصويت هو حق سياسي ثبت في تعديل الدستور الليبي عام 1963. «وفي الدفاع عن القضايا القومية انشغلت الرائدة بهيجة المشيرقي ببرنامج دعم نضال الشعب الجزائري من خلال المقالات السياسية، كما كانت تعقد لقاءً منتظمًا أسبوعيًّا في صالون بيتها، وتقدم خريطة لإحياء أسبوع الجزائر ترعاه جمعية النهضة النسائية. وفي سيرتها، سفر للقاء مناضلات جزائريات بعد التحرير، حيث جرى تكريمها كرائدة عربية في مناهضة الاستعمار»[25]

ب ـ أول سجينة سياسية: فاطمة التايب

في سيرة فاطمة التايب (1951 ـ ...) مؤشرات تنمُّ عن تنشئة شخصية مستقلة في قرارها، حُرَّة طليقة من البيت إلى دكان العائلة في سنوات دراستها الأولى، عينُها على تفاعلات المحيط؛ فهي ابنة لحظة استقلال ليبيا، وفي البيت تصيخ السمع للمحطة المصرية التي يصدح فيها صوت المرأة، يحكي عن أخبارها وتطلعاتها. رفاق الأب تجار يجوبون غرب ليبيا وشرقها، والعمالة اللبنانية وقتذاك جعلت والدها لبناني الهوى، يقوم بإرسالها إلى لبنان لتحسين لغتها الإنكليزية. وهكذا انتقلت إلى بيروت، وأقامت في الشويفات، حيث مركز تعليم اللغة وعوالم الانفتاح وانطلاق المرأة. في المدرسة الداخلية مبتدأ

(24) غندور، نساء الربيع العربي، ص 79.

(25) سعيدة عماني، «الثورة الجزائرية في ضمير المناضلة الليبية بهيجة المشيرقي،» مجلة قضايا تاريخية (مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، بوزريعة – الجزائر)، العدد 11 (تموز/يوليو 2019).

السبعينيات، استمعت وخاضت حواراتٍ عن الأوضاع السياسية القومية ببيت الطالبات، برفقة عربيات غادرن بلدانهن منفردات محمَّلات بمسؤولية أنفسهن من دون مظلة الأوامر والنواهي الأبوية، ما مثَّل اختبارًا لها. ولقد قُدِّر لفاطمة أن تكون الطالبة الليبية الوحيدة التي تتابع أوضاع لبنان عن كثب، وتغادره شهر اندلاع الحرب الأهلية عام 1975، وتتحصَّل على الشهادة الثانوية ببنغازي، ويجري تنسيبها إلى كلية الزراعة بطرابلس، ليكون لها في مخاضات النشاط الطّالبي دورها السياسي.

برزت مواقفها منذ حركات التظاهر والاحتجاج بالجامعة في نيسان/ أبريل عام 1976، وشاركت مع زملائها وزميلاتها في شجب ما وقع من مظالم تسلُّطية، حين حاول النظام وقف استقلالية الاتحاد وجعله أداة تعمل لمصلحته، فاعتُقلت وزُجَّ بها مع رفيقاتها إلى التحقيق في مركز للشرطة بطرابلس، وخضعت لمعاملة مُهينة، ثم وجدت نفسها ضمن قوائم المطرودين من الدراسة والممنوعين من السفر والعمل. لكن قرارها كان أن يكون لها دور سياسي، ما جعلها متحفزة لممارسة حقها في الانضواء كعضوة بأول حزب وطني معارض خارج ليبيا: جبهة الإنقاذ الوطني عام 1983، وذلك سخطًا على الأوضاع القائمة وممارسات النظام وقمعه. مع صدور قرار يُجرِّم الحزبية ويحكم بالإعدام على كل من يتحزَّب، طالها حكم بالسجن عام 1984، وكانت تجربة مريرة عبرتها بمصابرة أُمّ، إذ فارقت طفلتها بعمر السنة ولم يُسمح لها بمقابلتها، ومُنعت عنها الزيارات بل حتى مُنِعت من توكيلِ محامٍ. سنوات عانت فيها فاطمة ويلات من الرعب والقمع في سجن لم تتوافر فيه أدنى شروطِ الإنسانية، مع معاملة مهينة تسببت بمعقبات نفسية وجسدية استمرت معها حتى عقب خروجها، علمًا أن هذا الخروج تحقق بضغوط دولية حقوقية، بسبب إعلاء صوت المعارضة الليبية في الخارج، كما فشل النظام في الداخل في حروب وتدخلات خارجية، وقتذاك. وتسبب ذلك كله في قرار إطلاق سراح فاطمة وسراح قائمة من السجناء والسجينات من مناضلي الرأي عام 1988. وعن تجربتها، تروي فاطمة ظروف أول اعتقال لها وزميلاتها، «جاءُوا ونقلونا بالسيارة، كنا طالبات القسم الداخلي، وجدنا أنفسنا بقسم الشرطة، سبع عشرة طالبة بزنزانة واحدة، قاذورات وعفونة ومعاملة سيئة جدًا»[26]

ج ـ الممنوعة من الحقوق المدنية: فوزية خريبيش

كانت فوزية خريبيش، طالبة اللغة الإنكليزية في كلية التربية بطرابلس عام 1974، تمارس نشاطها بالجامعة منحازة إلى السجال ومناقشة قضايا الفكر السياسي والحريات،

(26) غندور، نساء الربيع العربي، ص 162.

وكطليعية بارزة ضمن الأطر الطلابية النشطة، كان لها صوت مسموع وهي تباري زملاءَها في اجتماعات اتحاد الطلبة. واعترافًا بشجاعتها ودفاعها عن رأيها حمَّلوها وصف أنديرا غاندي. ملكت روحًا متوثّبة ومشروع قيادية سياسية. وعن ممارستها حقها في الحركة، قالت: «تولَّدت نقاشات حامية مع طلبة الكليات خصوصًا الهندسة والعلوم، وكنت دائمة التردد على كلية الهندسة، كان بيننا اتفاق في الرؤى والأفكار بشكل كبير على رأسها مطالب الحرية والتغيير»[27]. وتتابع في سرد ما صدمها وضاق به صدرها فتقول: «كانت هناك ممارسات تعسفية داخل الحرم الجامعي مع التحضير لعسكرة الجامعات، وخلخلة وضعية اتحاد الطلاب الذي تحقق على قاعدة سياسية تعتمد الانتخابات والتصويت الحر للكليات، ثم شقّ صفوف طلبة الجامعة بخلق حالة فتنة وانقسام وهيمنة إقصائية من تكتل طلابي وظفته السلطة»[28]. كان القصد من تلك الممارسات هو كبح روح الاندفاع والحيوية في الوسط الطّالبي، هذه الروح التي وجدت صداها في النقاشات وكتابة المنشورات والإصدارات الحائطية والمجلات التي تصدر من كليات الآداب والحقوق ومجمل المنتوج الثقافي والأدبي، وتمّ إيقاف كل ذلك الحراك وخنق فاعلياته: صحافة ورأيًا وتيارات ناشئة يسارية وليبرالية وإسلامية ثورية ومحافظة بحجج واهية، منها ما أشيع على منابر السلطة وإعلامها من طابور التهم كالارتهان لخريطة اختراق خارجية ضد النظام القائم، وانتماء لتيارات معادية للوطن، ووصل الأمر حدّ ضخ أجواء من التحريض بالقطيعة والعداوة بين الطلاب. رفضت فوزية وزميلاتها ما حصل من انتهاكات لتظاهرة طلاب جامعة بنغازي، وجهرت بذلك وقالت في مقابلة معها: «تضامنًا مع الطلبة، قمنا بمظاهرة في ميدان الجزائر، وانضم الكثير من أفراد الشعب إلينا، وأُرسل وفد من طلبة جامعة طرابلس إلى جامعة بنغازي لتقصي ما يحصل، فالأخبار التي وصلتنا كانت مشوَشة»[29]. لقد وقفت فوزية وأعلنت رأيها في لقاء بمدرج الجامعة في نيسان/ أبريل عام 1977 والطلاب شهوده، فحمّلت السلطة مسؤولية كل الانتهاكات لطلاب جامعة بنغازي، وذكرت أن ما يحصل هو وجه من المصادرة وقمع الرأي والديكتاتورية التي تنال من قيم المواطنة: ممارسات قتل واعتداء وتهديد بالسلاح، وملاحقات للخطف والاعتقال تمت داخل الحرم الجامعي، ومنع أعضاء منتخبين من القاعدة الطلابية من ممارسة مهمّاتهم. رفضت السلطة الحوار

(27) المصدر نفسه، ص 226.

(28) «شهادة الطالب الجامعي رضا بن موسى،» جريدة ميادين (28 نيسان/أبريل 2012)، ص 3.

(29) غندور، نساء الربيع العربي، ص 226.

أو التداول في البيانات والشكاوى المتظلمة التي وجهها الطلاب للجهات الإدارية في الجامعة عن كل الأحداث التي مست بالحقوق المدنية، وتمت ملاحقة كل من أسهموا في حركات الاحتجاج، وعُلِّقَت قوائم على جدران كليات جامعتي طرابلس وبنغازي معلنةً عقوبات بالحرمان من الدراسة والعمل والسفر. وكانت مراكز التحقيق تتسلط باستدعاءاتها للطلبة والطالبات، وماثل ما حدث من مصادرة وقمع للحراك الاحتجاجي، ما حصل لفوزية في مكتب التحقيق بطرابلس، وذلك لأجل تقويض كل نشاط سياسي. لم تنسَ فوزية ما واجهها من تهم وتذكرّته في مقابلة معها بعد شباط/ فبراير 2011، ورددت فيها ما قالوه لها «أنتِ متمردة على النظام، وكلكم لن تكملوا دراستكم، وممنوعون من الحصول على الوظيفة، وبالفعل وُضعتُ تحت الإقامة الجبرية، وأُخبرتُ أنني سأظل تحت المراقبة»[30].

لقد كُنَّ نواة لحركة سياسية نسوية، وخطوة على طريق نضالي طويل، لكنهن تعرضن لحملة تشويه معنوية ضيَّقت الخناق حتى على حياتهن اليومية في الشارع، وظلت الملاحقة وقفل الأبواب تجاه أي تفاعل يتقدمن باتجاهه، وارتفع سعير تهديد النظام مع اعتقالات متلاحقة طالت كُتَّابًا وصحفيين وأصحاب رأي. وفي هذا الإطار، اعتُقلت لأول مرة في تاريخ ليبيا ناشطات رأي، ومنتميات لأحزاب وتيارات سياسية.[31]

5 ـ الحراك الثقافي النسوي

حين تعالت المفاهيم الفكرية التي كانت نتاج سجالات قادة النهضة، وثمرة خلخلة المفاهيم التي كرست التبعية والدونية والأسطرة الذكورية ضد المرأة، تبنى الكُتَّاب والصحفيون الرجال في ليبيا قضية المرأة؛ فنقدوا مفاهيم الذكورة، بل وواجهوا بموقفهم ذكور المجتمع المنغلقين. في هذا الإطار، تصدت مجلة **ليبيا المصورة** في عقد الثلاثينيات للأمر في أول قسم مبوب يخص المرأة وأخبارها. ومع الخمسينيات، برزت كتابات الصحفي المنشغل بالتطور الاجتماعي والفكري محمد فريد سيالة[32]، في كتابه **نحو غد مشرق** عام 1958، وحاذاه رجال مستنيرون تصدوا للصورة النمطية للمرأة، ومَثَّلوا معادلاً

(30) المصدر نفسه، ص 230.

(31) المصدر نفسه، نقلاً عن قائمة 22 سجينة فيهن فاطمة التايب، نُشرت في مجلة المعارضة الليبية بالخارج **الانقاذ** عدد أيلول/سبتمبر 1991.

(32) محمد فريد سيالة: مواليد طرابلس (1928 - 2008)، المعلم والكاتب الصحفي، رئس تحرير مجلة **صوت المربي** (1922)، وجريدة **الطليعة** (1965)، صاحب أول رواية ليبية **اعتراف إنسان** أثار كتابه الداعي الى تحرر المرأة **نحو غد مشرق** عاصفة كبرى من منتقديه ومناهضي دعوته، حمل توسيم رائد تحرير المرأة الليبية.

نضاليًا تحريضيًا، وصدىً واضحًا لأصوات عربية، كقاسم أمين وطاهر حداد، وجابهوا شجبًا واعتراضًا حادًا، حتى أن مقالات سيالة حول تحرير المرأة منذ نهاية الأربعينيات، وصلت منصة تداولات البرلمان الليبي في جلسته المؤرخة في 1952/4/15.

لكن بواكير الكتابة النسوية الصحفية بأقلام النساء كانت في الأربعينيات، واتخذت من المقالات المحرضة على ضرورة تعليم المرأة مهمتها الأولى، ولم يخلُ متنُها من موضوعات الأمومة والأسرة والزواج والطلاق وغلاء المهور ودخول السينما والنوادي الرياضية. وإذا حدث أن بلغت الجرأة حد مقاربة تابوات الحجاب والسفور والسفر بلا محرم، فإن التوقيع بالأسماء المستعارة كان حجابها، لتصب الأفكار متخلصة من ملاحقة الرقيب. إن الأقلام النسوية الناقدة لأوضاع المرأة مع الخمسينيات في الصحف الرسمية والخاصة، وضُحت في تدافع سيل المقالات التي مثلت جدالاً حادًا بين معارضين للقضية النسوية وداعمين لها، وفيهن كاتبات معروفات. وتفاعلت مع ذلك قارئات انقسمن بين تبني خطاب حجب المرأة بالكامل وقصر دورها على البيت والزوج، وقارئات انحزن إلى مجاراة العصر ورفع لواء التقدم المعرفي لأجل تحقيق المساواة. ولقد أرَّخت الباحثة شريفة القيادي لرحلة القلم النسائي الليبي ببحثها لنيل درجة الماجستير عام 1997، وتناولت المرحلة من الأربعينيات وحتى السبعينيات، وهي دراسة أولية ومتفردة في عرضها النماذج، نتخذها مرجعًا رئيسًا في هذا الفصل، لما حفظته من شواهد وأخبار وتحقيقات ومقالات في الرأي والنقد للأوضاع، فضلاً عن مقاطع من المنتوج الثقافي الأدبي.

أ ـ القصة الأولى: زعيمة الباروني

ولدت زعيمة الباروني في جبل نفوسة غرب طرابلس (1912 ـ 1970)، وهي ابنة المناضل السياسي سليمان الباروني الذي تبوأ عدة مناصب في الحقبة العثمانية الثانية. ولقد أرَّخت زعيمة لدوره مستندة إلى رسائله وكتاباته الذاتية في كتابها عنه الذي حمل عنوان **أبي كما عرفته** عام 1955، وهو أول كتاب تخطه امرأة. وفيه نجد أرشفةً لسيرة رجل وللحياة الأسرية والسياسية لزعيمة وطنية، وهي حياة تزخر بمقاربتها لتحديات وطنية دارت معاركها في بيت الأسرة، وتناولاً لسيرة اعتقال والدها، وخطط رجالات المقاومة الوطنية وانبعاث الحركات التحررية السياسية كالحركة السنوسية والجمهورية الطرابلسية عام 1918، ونداءات الاستقلال، فضلاً عن تنقلات والدها التي جعلتها مهاجرة منفتحة على عوالم تركيا ومصر وغيرهما. وحين عادت زعيمة إلى طرابلس مع منتصف الأربعينيات، وبشهادة التعليم الراشيدي كمعلمة تنخرط في مشروع التأصيل النسوي لنشر التعليم، فإنها كانت

تتفاعل بزخم ملحوظ مع مفاعيل المرأة في طرابلس، وعضوة ثم رئيسة منتخبة في جمعية النهضة النسائية. وكانت لها أدوار ثقافية وأدبية عبَّرت عنها في مقالاتها، وأصدرت أول مجموعة للقصص القصيرة في تاريخ ليبيا كتبتها امرأة عام 1958 بعنوان **القصص القومي**، وكانت بطلاتها من النساء اللائي قدَّمن نماذج لاتخاذ القرار وشجاعة الموقف، كقصتيَّ «وشاح الشجاعة»، و«بنت الحاضرة». ونشرت زعيمة مفاهيمها النسوية للمرحلة في مجلة **المرأة الجديدة** موقعةً باسم بنت الوطن، ويُذكر لها نقدها حالة استقبال منتجها، إذ كتبت «للأسف لم ينل **القصص القومي** ما توقعته له من نجاح، وكان السبب في ذلك صاحب المكتبة الذي تعهد ببيعه، فركنه في زاوية داخلية، ولم يلتفت إليه أحد»[33].

ب ـ امرأة خارج العزلة: خديجة عبد القادر

مثَّلت خديجة نموذجًا للمغامرة والتمرد على السياق البطريركي النمطي؛ إذ تخرجت من قلب المدينة القديمة بطرابلس، معلمةً عام 1956 ومقررةً الانفتاح على الآخر والمثاقفة لا تأثرًا فقط، بل تأثيرًا أيضًا؛ فإذا بها تحاضر عام 1961 في جمعية التاج البريطانية النسائية عن ليبيا والتاريخ والحضارة وعن حركة نساء ليبيا. لكن مسيرتها في الريادة فيها استثناء عنوانه الكتابة المستقلة المفصحة عن «أناها». وفي تحررها، تجاوز للسائد، وإفصاح عن تفكيرها بل وفلسفتها النسوية التي تذهب باتجاه تكافؤ الفرص من دون تمييز، فعندها: «ليس من المجدي المفاضلة بين الرجل والمرأة، إذ إن المشكلة هي مشكلة الفرد في المجتمع، من دون تمييز بين الجنسين»[34]. وفي مجال النشاط المدني كفضاء سياسي اجتماعي، وتمثلاً لدور المثقف العضوي في مجتمعه، ألقت محاضرةً في مكتبة الفكر بطرابلس عام 1963 عن دور المرأة التقدمي في المجتمع. وكانت أطروحتها الأولى التي قدمتها في معهد سرس ليان، المنوفية بمصر عام 1957، تقارب تنمية المجتمع في الريف كباحثة في أنثربولوجيا المكان. وذلك أن انتهاجها الكتابة السيروية لرحلتها التعليمية عام 1956 إلى مصر لدراسة تخصصها العالي في مجال تنمية المجتمع الذي ضمَّنته كتابها **المرأة والريف في ليبيا**، قد جعل قلمها حقلاً للتعبير المفتوح عن وجودها الخاص بأفعال: ترددتُ، سافرتُ، قررتُ. وفعلَت مثل ذلك أيضًا في رحلتها التعليمية إلى بريطانيا، فكانت في مُقدَّم متخصصات ليبيا والعرب في علم المكتبات عام 1962. وقد أرَّخت حلقاتها «ليبية في بلاد الإنجليز» التي نُشرت مسلسلة في جريدة **طرابلس الغرب** 1963/1962، لأول امرأة

(33) القيادي، المصدر نفسه، ص 58.

(34) المصدر نفسه، ص 76.

ليبية تكتب أدب الرحلات. وقد «عاشت خديجة ما يقال عنه صدمة السفر والانتقال من مجتمع ناهض إلى مجتمع مختلف ومتطور، ومن هذا يمكننا أن نجس سيكولوجيا الترحال النوعي الذي يمنح هذه المرأة جرأةً وروحًا متمردةً»[35]. إن سفرها وحيدة من طرابلس إلى دول، شرقًا وغربًا، في زمن تنغلق فيه الأبواب ويتربص واقع ذكوري يقيد حراك المرأة في الداخل، ما بالك إلى الخارج، يدلِّل على مساعيها لتطوير ذاتها، ما جعلها صاحبة رسالة ومشروع، أسست لقواعده برؤية متحررة، وقد امتلكت أدوات التخاطب والتواصل بين ما هو ذاتي وما هو كوني.

ج - أول روائية ليبية: مرضية النعاس

دَرَست مرضية القانون واتجهت للتعليم، ثم الصحافة، من مدينة درنة شرق ليبيا بتاريخها وديموغرافيتها الجامعة المستنيرة، حيث الأندلسي الموريسكي مع مهاجري غرب ليبيا، متسلحةً برداء القانون، ومدافعةً في مقالاتها عن الحقوق والحريات للنساء. كانت كتابات مرضية مشحونة بالاحتجاج على الأوضاع، ومن نماذج مقالاتها، دعوة إلى تحرير المواهب النسائية من القيود التي تكبلها، كما لو أنه يُكتب اليوم؛ ففي ندائها تحريض على أن تكتب المرأة ذاتها وتطلق قلمها، ولا ترتكن لمعاول السخرية والتشكيك في قدراتها. كذلك وجهت مرضية نقدًا للمرأة المتسترة والمتعالية بشهادتها الجامعية، الغائبة عن دورها؛ ففي لقاء مع أول دفعاتها في الستينيات، قالت: «الشهادة ليست غاية كبرى أو دلالة رقي معرفي أو إعمال للفكر، بل إن الغياب عن خوض معركة الحقوق الضائعة، يُعلي من هيمنة الآخر ويُسود خطابه الداعم لنزعة السيطرة»[36]. ورأت أن عزلة قلم المرأة في مجالات الفكر والأدب، يرسخ ادعاء أن الفكر والأدب حكر على الرجال، داعيةً إلى تمزيق غلالات التقوقع والتواكل والتجمد، وأن لا يظل المعبِّر عن الاحتجاج نيابةً عن المرأة، قلمًا ذكوريًا. واستلمت مرضية الإشراف على صفحة المواجهة للرأي العام في عدة صحف مستقطبةً الكاتبات، وأصبحت رئيسة لتحرير صفحات جعلت منها صوتها، وشَبَكت كتابة رأيها الرئيس مع نصها الأدبي، فإذا روايتها **المظروف الأزرق**، أول رواية ليبية تكتبها امرأة، وفي متنها اشتباك مع الثقافة التقليدية المعوِّقة لخروج رأي المرأة وقرارها، والثقافة الحديثة التي تدعم مشاركة المرأة في المجالين: الخاص والعام.

هكذا أفصحت عاليًا عدة نماذج من كتابات جيل الستينيات عن نقدها النهج الذكوري

(35) أحمد الفيتوري، **بورتريهات** (طرابلس: مؤسسة ميادين للطباعة والنشر، 2018)، ص 159.

(36) القيادي، المصدر نفسه، ص 179.

السائد، وعن حالة التثوير النسوي في فهم الذات والتوق للتحرر الأنثوي من القيم الراسخة؛ ليس بعرضها فقط، بل بالعمل على إصلاحها بابتكار رؤىً بديلة.

خاتمة وتوصيات

كان هذا الفصل «الإطار التطبيقي» بمنزلة استقراء لتاريخ مقصيّ مهمَّش، مثّل السير البديلة لرائدات ليبيا، وسرد رواياتهن كطرف في صناعة التاريخ الذي طاله الظلم المضاعف عند منع أرشفته، ووقع تحت مظلومية السلطة الحاكمة والحجب الأبوي. إن هؤلاء الرائدات غادرن من دون معرفة بهن أو اعتراف بأدوارهن التي اتخذت مسارب وجبهات متعددة: مقاوِمَات عن الوطن بالسلاح حين اقتضت الحال ذلك، وسجينات بمعتقلات الانتهاكات والإبادة الاستعمارية، ومُؤرّخات شعر المقاومة، ولقد وثقن شفاهة تفاصيل القهر كما مواقف البطولة. إن المقاومة التي كانت هي نهج حميدة العنيزي لعقود من سعيها واشتغالها وما علمته لتلميذاتها عن مقاومة الاستعمار والتمركز الذكوري، في زمن كانت ظروفه الغالبة تدعو للعزلة والركون، هذا التعليم أثمر، فلم تختر النساء العزلة والانكفاء، بل صدح صوت خديجة الجهمي لأجل الإصلاح والتغيير، ومشت أقدام عائشة زريق في قلب الريف وبين الفلاحات تنشد التنمية والتمكين، وبرزت أسماء فاعلات على مستوى ليبيا في ممارسة أدوارهن في إطار المجتمع المدني، وحاذت مشاريعهن في مبتدأ الخطو حركة نساء العرب والعالم، حين تصاعد المد النسوي في دعوته إلى بلورة الوعي بثقافة التمييز بين الرجل والمرأة.

وجاء الزخم الثقافي الأدبي للرائدات مع منتصف القرن العشرين، مفتتحهُ كتابة مُقاومة شكلتها سجالات محتدمة لأجل الدفاع عن الحقوق والحريات، وبمعاضدة الذكورية الإيجابية المؤمنة بتحقيق المساواة وتكافؤ الفرص، وهكذا أنتجت الرائدات القصة والرواية والشعر والسيرة وأدب الرحلات والنقد، وفتحن الباب للمثاقفة مع الآخر، مُقَدِمات بذلك صورة عن الوطن بحضارته وإنسانه. أينما جُلن في بلاد العالم، وحين شرَّعن الباب لولوج العمل السياسي ونافذته منابر كلياتهن في الجامعة، كنَّ مشروع زعامات قيادية ونخب نقابية، وقدمن تضحيات جسام بمواجهة سلطة قامعة أدخلتهن السجون وحرمتهن حقوقهن المدنية. وإننا إذ نستقرئ تاريخ الرائدات، وعيوننا على اللحظة الراهنة بما فيها من متغيرات وما يتشكل فيها من مفاعيل النساء وتضحياتهن، وإن بفارق إضافي يتمثل في ما تحقق للنساء من مكاسب تعبت لأجلها أمهات لَبِنات التأسيس، نجد أن المشترك مع الرائدات هو أن كل جيل ريادي في مشغله يُشكل إرثه وذاكرته: فمتى يُستبعد الإقصاء

وعدم الاعتراف والتعالي المتقصد والتشكيك بلاجدوى المنجز، ويُعمل لأجل الأرشفة المستحقة؟ حين يُنظر إلى الماضي بوعي اليوم المعمّق، فلن يصير التراث النسوي نسيًا منسيًا.

إذا ما ربطنا عملية التنمية التي تهدف إلى الارتقاء بالعنصر البشري من دون تمييز، وبالتمكين المعني بتحقيق وحضور الذات بالفعل والاختيار من دون إقصاء أو تهميش، وبحسب ما تضمنته أهداف التنمية المستدامة 2030 والوثيقة المعنونة بمنهاج عمل المرأة بالمنطقة العربية 2030 الذي يُقر بالعمل على الإنصاف والعدالة والمساواة بين الجنسين، فإنه يصير لزامًا علينا، ومن قبيل الدور النسوي، أن نطرح توصيات تنشد التقدير والاعتراف والنظرة الموضوعية للفعل الريادي الذي صنع التغيير.

استنادًا إلى ما طُرِح، فإننا نقترح توصيات لبرنامج عمل على الصعيدين المحلي والعربي، في ظل وضعية التشارك العام في التهميش لجهود الرائدات، أو خريطة تتقارب وتتوحد فيها المجهودات النسوية لأجل المعرفة والاعتراف والأرشفة، ومن بنود ذلك:

1 ـ إتاحة فضاء معرفي في مؤسسات التربية والتعليم، وفي إطار التنشئة البديلة، تُقدمُ فيه الرائدة سيرتها الذاتية، ومشروعها الذي قاربت من خلاله القضية النسوية، أسهَمت بدورها فيه، ما يفسح في المجال لحوار متبادل، تتعزز فيه قيم الاحترام والتقدير، وتتأصل الروابط بين الاجيال.

2 ـ إقامة «يوم الرائدة»، كإحياء تقليدي وطني، تُدعى فيه الرائدات وأهاليهن، ويجري تكريم رائدة كل سنة، ويخصص ليومها معرض صور وتسجيلات، ووثائق ذات علاقة، وتُقَدَّم شهادات من مجايليها أو تلامذتها.

3 ـ توظيف أدوات البحث الميداني من جمع معلومات ومقابلات واستبيانات، وكل ما يُسهم في توفير قاعدة بيانات، لمن أحرزن الريادة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والمجتمعية والفنية.

4 ـ إتاحة مشاريع التوثيق للسير البديلة، وشمولها توظيفًا ضمن ما يُقَدَم من الأعمال الأدبية والمسرحية والسينمائية والتشكيلية، باعتبار أن الثقافة والإعلام من الفواعل المسؤولة عن تشكيل الوعي الجمعي البديل.

ولخصوصية دور منظمة المرأة العربية وأثرها، كجامعة للعمل النسائي العربي، نقترح الآتي للإسهام في حفظ الذاكرة، وإنتاج معرفة نسوية بديلة:

أ ـ مع غياب مراكز المعلومات عن تاريخ المرأة، تضطلع منظمة المرأة العربية بمشروع موقع الذاكرة الكبرى والسير البديلة للرائدات العربيات.

ب ـ إقامة متحف مركزي قومي، كحافظة موثقة «سمعية بصرية» لنماذج من وثائق وصور، ما يمثل أرشيفًا مرجعيًا عامًا للرائدات العربيات في مختلف المجالات.

ج ـ تخصيص ندوات فكرية عن الرائدات العربيات، يُترسم فيها اختيار موضوع حول خطوات التأسيس وخريطة مشاريعهن، ويتمّ فيها تسليطُ الضوء على كفاحهن، مع قراءات تعيد اكتشاف أعمالهن الفكرية والثقافية، على أن تتاح مادة الندوة كإصدار في كتاب دوري يحمل عنوان سلسلة «كتاب الرائدات».